

الحياة الاقتصادية في منطقة تبوك (خلال القرنين 12 و 13 هـ / 18 و 19م)

محمد عبدالله الزعاري*

ملخص

تتناول هذه الدراسة تاريخ الحياة الاقتصادية في منطقة تبوك خلال القرنين 12 و 13 هـ / 18 و 19م، وتقع المنطقة في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية، وتشمل كلا من: تبوك، وتيماء، وضباء، وحقل والوجه، وأملج، والقرى الواقعة ضمن الحدود الإدارية للمنطقة.

ويتميز موقع المنطقة بوجوده على طريق الحج، وقد وفر ذلك معلومات عنها في كتابات الرحالة المسلمين والأوروبيين الذين دونوا مشاهداتهم عنها وعن مجتمعها، مما أسهم في سعي الدراسة نحو تتبع مقومات وعناصر النشاط الاقتصادي في منطقة تبوك والتي شملت: الثروة الحيوانية، الزراعة، التجارة، الصناعات البسيطة، وما يرتبط بهذه العناصر من تغيرات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

الكلمات الدالة: تبوك، حياة اقتصادية، تاريخ.

المقدمة

مزيد من البحث والدراسة للتعريف به وإبرازه للباحثين والمهتمين، وما هذه الدراسة إلا واحدة من الدراسات التي تهتم بجانب من تاريخ المنطقة قلما يتم تناوله من الباحثين وهو التاريخ الاقتصادي، وتسهم هذه الدراسة في تشجيع الباحثين والمهتمين على تناول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع المنطقة وترشدهم الى المصادر والمراجع التي تساعد في تناول هذا الجانب التاريخي الهام.

وتتركز مشكلة الدراسة في تحديد ملامح وعناصر الحياة الاقتصادية في منطقة تبوك ضمن الحدود الادارية الحالية خلال النصف الثاني من العهد العثماني وايضاح العوامل المؤثرة فيها، ونظرا لقلة الدراسات العلمية التي تناولت التاريخ الاقتصادي للمنطقة فان البحث الحالي يحاول تتبع ملامح وعناصر الحياة الاقتصادية في منطقة تبوك (خلال القرنين 12 و 13 هـ / 18 و 19م). ومن هنا جاء اعداد الباحث لهذه الدراسة في محاولة منه للإسهام في كتابة تاريخ منطقة تبوك الحديث، والكشف عن ملامح تاريخها الاقتصادي، وتطور الحياة الاجتماعية فيها، أملا في تشجيع الباحثين والمهتمين على تناول مجالات وجوانب أخرى من تاريخ المنطقة لم تدرس بعد.

وسعت الدراسة الى الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تتعلق بتاريخ الحياة الاقتصادية في المنطقة من بينها؛ ما هي ملامح الأحوال الاقتصادية لمجتمع منطقة تبوك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الثامن عشر والتاسع

تتمتع منطقة تبوك بموقع جعلها مركزا مهما في العلاقات الدولية القديمة والحديثة، فقد كانت ممرا لطرق التجارة القيمة مما جعلها ترتبط بعلاقات حضارية مع بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين، واكتسبت أهمية كبيرة أيضا لوقوعها على طرق الحج القادمة من مصر والشام، وقد منحها ذلك حضورا في الذاكرة البشرية، وفي الكتابات التاريخية والجغرافية، إذ اجتذبت اهتمامات العلماء والرحالة من المسلمين والأوروبيين.

وبرزت تبوك في العهد الإسلامي على مسرح الأحداث عندما وصلها الرسول، صلى الله عليه وسلم، على رأس حملة عسكرية أكدت للإمبراطورية الرومانية أن الدولة الإسلامية قوية، وقادرة على حماية حدودها. ودخلت المنطقة في العصر الحديث ضمن النفوذ العثماني، وازدادت أهميتها بعد تأسيس مشروع سكة حديد الحجاز، ثم انتهت علاقة المنطقة بالدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وخروج العثمانيين منها لتبدأ عهدا جديدا، هو العهد السعودي المعاصر.

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول منطقة تبوك بحدودها الإدارية الحالية والتي تتمتع بإرث تاريخي وحضاري يحتاج إلى

* قسم العلوم الانسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، تاريخ استلام البحث 2015/1/22، وتاريخ قبوله 2015/5/17.

المكتوبة، والوثائق، وما سمعة من كبار السن، والدراسة الثانية ألفها محمد أحمد الرويثي، وعنوانها (الموانئ السعودية على البحر الأحمر)، وتتاول الحركة التجارية في الموانئ.

وتتكون الدراسة من مدخل يتناول التعريف بموقع المنطقة الجغرافي وتاريخها، ثم تعرض الدراسة: مقومات النشاط الاقتصادي في منطقة تبوك، وعناصر الحياة الاقتصادية وتشمل: الثروة الحيوانية، والزراعة وما يرتبط بها من أماكن، ومحاصيل زراعية، ومتطلبات زراعية، ثم تعرض التجارة وما يتعلق بها، وتتاول بعد ذلك: الصناعات البسيطة التي انتشرت في المنطقة من حيث مقوماتها وأماكنها والمشتغلون بها.

أولاً: منطقة تبوك: الجغرافيا والتاريخ

تقع منطقة تبوك في الجهة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، ويحدها من الغرب بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومن الشمال بلاد الشام، ومن الجنوب الشرقي بلاد الحجاز التي شكلت امتداداً طبيعياً لها (ابن حوقل، 1874) ومثل الموقع نقطة اتصال للطرق التجارية المتجهة شمالاً إلى بلاد الشام، وعبر سبيل إلى مصر وجنوباً في جزيرة العرب. (الحموي، 1977م) وجعلها هذا الموقع جزءاً مهماً من شبكة طرق التجارة العالمية بين الشرق الأقصى (والهند) وبين دول البحر المتوسط (الدوري، 1989م). وقد استرعى هذا الموقع الجغرافي الحيوي للمنطقة اهتمام الممالك ذات المصالح التجارية الكبرى في العالم القديم، ومنها الإمبراطورية البيزنطية التي اعتبرت المنطقة امتداداً طبيعياً لبلاد الشام، وسيطرت عليها منذ بداية القرن الثاني للميلاد، وسمتها الكورة العربية. (المسعودي، 1973).

وتشكل منطقة تبوك في امتدادها الإداري الحالي القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وتقع بين دائرتي عرض 24,30، و 29,52 شمالاً، وخطي الطول 34,34 و 40,12 شرقاً، ويحدها من الغرب: البحر الأحمر، ومن الشمال: الأردن، ومن الشرق منطقتا الجوف وحائل، ومن الجنوب: منطقة المدينة المنورة. وتبلغ مساحة المنطقة 116400 كم² (الخضير، 1991م).

وتعد منطقة تبوك بامتدادها الجغرافي والبشري ضمن منطقة الحجاز، وينقسم السكان في إقليم الحجاز إلى حاضرة وبادية، (أبو علي، 1976م) وتشكل قبائل المنطقة جزءاً من مجموعة القبائل التي تسكن الحجاز ذات العادات والتقاليد المشتركة، وقد أُتيح لمجتمع المنطقة الاحتكاك بالعنصر الأجنبي بحكم موقعها الذي يشكل بداية حدود الحجاز من جهة الشمال، حيث يبدأ امتداد الحجاز من معان ماراً برأس خليج العقبة شمالاً إلى ما بين ميناء الليث وميناء قنفذة على ساحل البحر الأحمر جنوباً

عشر الميلاديين، وما أهم وأبرز عناصر النشاط التي عرفتها المنطقة وما العوامل التي أثرت فيها، وهل كان لموقع المنطقة على طرق الحج من آثار إيجابية على أي من الأنشطة الاقتصادية التي كانت سائدة في المنطقة ؟

واعتمد الباحث في إنجاز أهداف البحث على المصادر والمراجع العربية والمعرية خاصة كتب الرحلات الإسلامية والأوربية ذات العلاقة بتاريخ منطقة تبوك والاستعانة بالباحثين والمهتمين من أبناء المنطقة ممن لديهم دراسات أو اطلاع أو اهتمام بتاريخ المنطقة وتراثها وآثارها مما سهل على الباحث حصر المؤلفات المتوفرة عن المنطقة. كما استعان الباحث ببعض الدراسات ذات العلاقة بتاريخ المنطقة والمنشورة على شبكة الانترنت، وعمد الباحث بعد جمعه المادة العلمية إلى تصنيف المعلومات وتحليلها ثم صياغتها على الشكل الذي مكّن الباحث من تحقيق أهداف الدراسة المتمثلة بالإسهام في إنجاز دراسة تتناول التاريخ الاقتصادي للمنطقة، وتوفير مادة علمية عن الحياة الاقتصادية لمنطقة تبوك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين تسهم في تشجيع الباحثين على الاهتمام بدراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

وقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع التي من أهمها كتابات الرحالة المسلمين والأوربيين الذين مروا بالمنطقة، ومن بين الرحالة المسلمين _ على سبيل المثال _ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت 1143هـ / 1730م) الذي وصف في رحلته (الحقيقة والمجاز) الأماكن والمباني والمحطات الواقعة على طريق الحج، وتضمنت رحلته أيضاً أسماء العديد من الآبار، ووصف المياه التي مر بها وشاهدها. ومر بالمنطقة أيضاً ابن عبد السلام الدرعي (ت 1239هـ / 1823م) الذي دون مشاهداته في رحلتين للحج؛ الأولى عام 1196هـ / 1781م والثانية عام 1211هـ / 1796م، وتعتبر رحلته الأولى أو الرحلة الكبرى من أوفى المصادر في تفصيل مراحل الحج من مصر إلى مكة المكرمة فالمدينة المنورة فينبع فمصر.

ومن الرحالة الأوربيين الذين مروا بالمنطقة، واعتمدت الدراسة على ما كتبه عنها: عبدالله فلي في كتابه (أرض مدين)، ولويس موزل (شمال بلاد العرب)، ويوليوس أويتنج (رحلة داخل الجزيرة العربية).

ومن بين الدراسات الحديثة التي تناولت التاريخ الاقتصادي لأجزاء من المنطقة عبر فترات تاريخية متنوعة دراستان؛ الأولى للدكتور موسى العبيدان، بعنوان (الحركة التجارية في ضباء بين عامي 1282-1382هـ)، ط2، حيث كشف عن الدور التجاري لمدينة ضباء بالاعتماد على المصادر والمراجع

ثلاثمائة ألف ومليون ونصف المليون نسمة، وأغلب هؤلاء السكان من البدو (أبو علي، 1976م).



خريطة تبين محافظات منطقة تبوك

(أبو علي، 1976م)، وقد تراوح عدد سكان الحجاز الذي تُعتبر منطقة تبوك جزءاً منه في عشرينيات القرن العشرين بين



موقع منطقة تبوك على خريطة المملكة العربية السعودية

(البتوني، د.ت.).

وهكذا كان اهتمام الدولة العثمانية بالمنطقة نتيجة لعدة عوامل هامة من أبرزها تأمين الحماية وتوفير الأمن على الطرق والمحطات التي تسلكها قوافل الحج القادمة من أنحاء العالم الاسلامي عبر طريقي الحج المصري والشامي.

ثانيا : مقومات النشاط الاقتصادي في منطقة تبوك

لعب موقع المنطقة بمساحته الواسعة أهمية كبيرة في النشاط الاقتصادي وخاصة التجاري، حيث مثلت جزءاً مهماً من شبكة طرق التجارة العالمية ما بين الشرق الأقصى (والهند) وبين دول البحر المتوسط (الدوري، 1989م)، فهي نقطة وصل لطرق التجارة التي تربط المنطقة بالشام ومصر. (الحموي، 1977م)، وجعل الموقع الجغرافي المتميز من المنطقة منطقة جذب حضاري (موسل، 1988)، ظهر ذلك بوضوح من خلال مرور طرق الحج في المنطقة، وتعدد محطات سكة حديد الحجاز الموجودة فيها، ومنها: محطة تبوك التي تعد أكبرها، (البلوي، 2007م)، وحالة عمار⁽¹⁾، وذات الحاج⁽²⁾، ويثر ابن هرماس⁽³⁾ (البتوني، د.ت.).

وكان من أهم مقومات وعناصر النشاط الاقتصادي في منطقة تبوك: الثروة الحيوانية، والزراعة، والتجارة، والصناعات البسيطة التي كانت منتشرة في المنطقة:

أ. الثروة الحيوانية

تمنح الثروة الحيوانية الحياة الاقتصادية قدرة على التنافس الاقتصادي، فهي تتداخل مع الزراعة والتجارة، وتعد أكثر تلازماً مع النشاط الزراعي، ولفهم ارتباط الثروة الحيوانية بالزراعة كأحد عناصر النشاط الاقتصادي، نُلقي الضوء على ملامح هذه الثروة باتباع الإشارات التاريخية الواردة عن المراعي والحيوانات والطيور:

خضعت منطقة تبوك للعثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني (927- 974هـ / 1520-1566م) (البلوي، 2007م)، وأصبحت المنطقة تتبع ولاية مصر العثمانيين وتتأثر بما يحدث في ولاية مصر لارتباطها الإداري بها (ابن إياس، 1984م) واهتم العثمانيون بالمنطقة لأهمية موقعها على طرق قوافل الحاج العراقي والشامي والمصري، وحرصوا على تأمين الحماية للحجاج على هذه الطرق، ودفعوا الأموال للأهالي لمساعدة الدولة العثمانية في تحقيق ذلك (البلوي، 2010). وكانت المنطقة تشهد في موسم الحج حركة نشطة في مجال الأمن والحماية الذي حرصت الدولة العثمانية على نشره على طريقي الحج حتى أن والي العثماني كان يقود القافلة في بعض مواسم الحج، ومن ذلك قيادة والي الشام لقافلة الحج الشامي عام 1081هـ/1671م وكان يرافقه خمسة الاف ومائة وعشرون من الجنود لحفظ الأمن وحماية القافلة وكان قائد قافلة الحج يدفع الأموال لشيوخ القبائل لقاء ما يقدمون من خدمات للقافلة وحمايتها من تعديات القبائل، وفي حال حجب الأموال عن شيوخ القبائل كانت القوافل تتعرض الى اعتداءات من القبائل التي تحجب عنها الأموال (جلبي، 1999م).

وأنشأت الدولة العثمانية للغرض نفسه قلاعاً على طرق الحج (أويتج، 1419هـ) تقيم فيها حاميات عسكرية، (البلوي، 2007م)، مهمتها الحفاظ على الأمن (الدمشقي، 1993). كما أنشأت في العقد الثاني من القرن 14هـ / أوائل القرن 20م سكة حديد الحجاز، ضمن خطة تستهدف تعزيز الأمن على محطات سكة الحديد بالقرب من هذه القلاع، ومن أكبر هذه المحطات تبوك والحجر الواقعان على طريق الحج الشامي، (الدقن، 1985م) وقد بلغ عدد المحطات الشمالية 22 محطة

1. المراعي

يرتبط نمو الثروة الحيوانية بمدى توافر المراعي، وقد وردت إشارات عديدة عند بعض الرحالة الأوربيين عن انتشار المراعي في بعض جبال المنطقة وأوديتها الواقعة إلى الشرق من الساحل، وبجوار تيماء والعلا، وفي بادية حسمى إلى الشمال الشرقي من تبوك (جوسين وسافيناك، 1424هـ)، فقد ذكر "موسل" أن مروجاً واسعة مغطاة بالحشائش بأنواع مختلفة من النفل شاهدها على سفوح الوديان خاصة وادي العفال⁽⁴⁾ (موسل، 1988)، ومن المراعي الوفيرة أيضاً المحجة الواقعة على جناح جبل غنيم⁽⁵⁾ التي قال "فلبلي" إنها تشتمل على مراعي مزدهرة بسبب مواسم الأمطار الجيدة والسيول القوية، وأن القبائل المحيطة بها وسكان تيماء يقيمون خيمهم بها في الربيع (فلبلي، 1965م)، كما وردت إشارات عن مراعي أخرى في المنطقة وصفت بالصغيرة، مثل مراعي وادي النعام التي تتوافر فيها شجيرات الحمض والرمث، (فلبلي، 1965م)، وقد مارس بعض سكان المنطقة العمل في الرعي (بكر، 1981).

2. الحيوانات

اعتمد أغلب السكان في منطقة تبوك في معيشتهم على ما تنتجه مواشهم من اللحوم والألبان ومشتقاتها، ولذلك اهتموا بتربية الأغنام والإبل (الطيبار، 1420هـ)، وساعدهم على ذلك توافر المراعي في المنطقة، وتُعد الإبل والأغنام المحرك الأول لاقتصادهم وتعاملهم مع بعضهم، وخاصة أن الأنعام في عرفهم تحل محل الدرهم والدينار في المعاملات المالية والاجتماعية كافة، حيث تُستخدم في سداد الديون، ومهور النساء، ودفع الديات، ولذلك اهتم البدو بالرعي والمراعي، والبحث عن أماكن الماء والعشب والتجمع حولها (العلي، 1997م)، وقد وردت في كتابات الرحالة الأوربيين إشارات عديدة للحيوانات الموجودة في المنطقة ومنها: الجمال والخيول والبيغال والماعز والضأن والغزلان والذئاب والفهود.

ومن أبرز الحيوانات ذات القيمة المرتفعة لدى سكان المنطقة: الإبل، ولم تكن تربية الإبل ناجحة في ساحل المنطقة والواحات القريبة منه، إلا أنها كانت كثيرة في الجهات الداخلية، وذلك إضافة إلى الأبقار وخاصة في تيماء، والخيول والأغنام في أماكن عديدة من بوادي المنطقة وقراها. (دوتي، 2005م)، وقد أورد "موريس تاميزيه" في رحلته أنه شاهد أثناء عبوره الطريق من الطور إلى ضباء في عام 1833م قطعانا من الضأن والماعز تجوب الروابي، وذكر أعداد كبيرة منها عند قبيلة اللحيان التي كانت تقيم حول بئر الباروت، ووصفها بالعملات الحية التي يجري تداولها عن طريق المبادلة (تاميزيه، 2001م)، ومن الحيوانات البرية الموجودة في

المنطقة: الغزلان والأرانب (العلي، 1997م) والوعول والوبر والجربيع والجراد (نوفيع، 2010م)، هذا بالإضافة إلى الكلاب والحمير (العلي، 1997م)، التي كانت توجد في أماكن عديدة من بوادي المنطقة وقراها (دوتي، 2005م).

3. الطيور

أورد الرحالة الأوربيون إشارات لأنواع من الطيور شاهدها في المنطقة، وأنواع أخرى ذكروا أنها كانت تعيش فيها، ومن هذه الطيور: النورس (أويتنج، 1419هـ) التي كانت كثيرة في جزيرة الحساني بأملج، (فلبلي، 1965م)، وكذلك طيور القمرية الموجودة في بعض الأماكن التي تتوافر فيها المياه العذبة، وكانت كثيرة بصورة متزايدة في كل أرجاء المنطقة، (تاميزيه، 2001م) وخاصة أملج (نوفيع، 2010م)، وفي الوادي الذي اشتهر باسم: وادي النعام (أي الوادي الصغير) الذي فسر فلبلي سبب تسميته بأنه يعود لكثرة النعام العربي المتناقص (Struthio) الذي انقرض تماماً (فلبلي، 1965م)، والصقور (العلي، 1997م)، والحمام البري والحجل والغطى والكناري، والسمان (نوفيع، 2010م)، والجراد الذي كان ينتشر في المنطقة بين الحين والآخر ويهاجم المراعي الغنية (فلبلي، 1965م)، ومن الأماكن التي شوهدت فيها أسراب كبيرة من الجراد، تلك الأودية المليئة بالنباتات بين تيماء وتبوك (فلبلي، 1965م).

ويظهر من الإشارات المتنوعة التي وردت في كتب الرحلات وخاصة الأوربية منها أن هنالك تنوعا في الحيوانات التي كانت تعيش في المنطقة قبل وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ويبدو أن انتشار بعض المراعي في أنحاء المنطقة وطبيعة السكان التي تميل إلى البداوة جعلهم أكثر اهتماما بالثروة الحيوانية نظرا لما توفره لهم من غذاء وملبس وعاملا من عوامل الثروة بمقدار ما يملك الفرد من الأبل والماشية.

ب . الزراعة

لم يكن اهتمام سكان المنطقة بالزراعة كبيرا، وربما يعود ذلك لسببين رئيسيين؛ الأول: اعتماد أغلب السكان في معيشتهم على ما لديهم من ثروة حيوانية، وما تنتجه من مشتقات، والثاني: عدم توافر تربة خصبة صالحة للزراعة (الطيبار، 1420هـ)، وربما تكون حياة التنقل وعدم الاستقرار للبدو سببا آخر لعدم الاهتمام بالزراعة، وعلى الرغم من ذلك وردت إشارات عديدة في كتابات الرحالة المسلمين والأوربيين الذين تجولوا في المنطقة، وجابوا أوديتها، ومروا على آبار المياه والينابيع فيها، تؤكد أن الزراعة كانت منتشرة في أماكن عديدة من المنطقة، وسيتم فيما يلي تناول أماكن انتشار

الزراعة، وأنواع المحاصيل الزراعية، ومصادر المياه التي اعتمدت عليها، وبعض طرق الري التي كانت سائدة.

1. الأماكن الزراعية

كانت تيماء من أبرز المناطق التي وردت إشارات لزراعات فيها، فقد اشتهرت بزراعة النخيل والتين والعنب (البكري، 1983م)، وكان يفد إليها بعض العريان من أجل سد حاجاتهم من الماء والتمر، وما يلزمهم من السلع الضرورية الأخرى. واشتهرت الضاحية الجنوبية منها بحقول الذرة، أما الأراضي التابعة للقرى القريبة من تيماء فقد زُرعت بالنخيل والحبوب، وكانت تُروى من الآبار الموجودة في المنطقة. (فليبي، 1965م)، وعلى طول الطرف الجنوبي من تيماء تقع بساتين النخيل وحقول الذرة (فليبي، 1965م)، كما زُرعت أيضا أشجار العنب والخواخوخ والرمان، (أويتنج، 1419هـ) والطلح (أويتنج، 1419هـ)، وشجيرات الغضا والرمث والحمبسي (فليبي، 1965م). وتعتبر زراعة النخيل والرمان والتين والليمون الحلو من أكثر الزراعات التي اهتم بها أهل تيماء (دوتي، 2005م)، تتلوها زراعة الطلح (فليبي، 1965م). ثم العنب والخواخوخ (أويتنج، 1419هـ). أما الاهتمام الأكبر فكان بزراعة النخيل. ومن البساتين والحقول الممتدة على طول الطرف الجنوبي من تيماء: بستان نخيل المليحة، وحقول الشعير والدخن، وحقول الغضا والرمث، وكذلك الأزهار، ومنها أزهار بنفسجية صغيرة لنبات يسمى تربة الحمبسي، وهو نبات متسلق صالح للأكل، وينتشر في المناطق الرملية (فليبي، 2003م).

وتوصف طبيعة الأرض في تبوك بأنها منبسطة تحيط بها الجبال، وتتخللها الأودية التي من أشهرها الوادي الأخضر. كما تنتشر فيها المزارع الواسعة التي تمتد من وادي الأخضر في الجنوب الشرقي ووادي الأثيلي في الجنوب، حتى تقترب من بئر ابن هرماس الذي تقع في غربه قرية عيينة (الجاسر، 1970)، وقد اشتهرت مشارف تبوك إلى الشمال من جبل العريق بزراعة النخيل (أويتنج، 1419هـ). وكذلك في عين رايس (فليبي، 2003م). ووردت إشارات عديدة عن زراعة نخيل التمر، والنخيل البري، والتين، والرمان، والسفرجل، والعنب، والبادنجان، والبطيخ، (موسل، 1988)، وحقول الذرة، والحبوب. (فليبي، 2003م). والأثل، وشجر المقل (موسل، 1988) في أماكن متعددة من تبوك. ومن الرقع الزراعية الموجودة في تبوك بستان حرب، ومزرعة "أبو سبعة" التي توجد خلفها عين رُحيل، وعين كُريم، وواحة عين رايس، والخثما. وإلى الجنوب قريباً من الهضيبة تقع الجرثومة (فليبي، 2003م). وعرفت المناطق الغربية والشمالية الشرقية من تبوك

بكثرة الغضا الذي يكون في هيئة أحراش (موسل، 1988). وقريباً من تبوك تتوفر في حوض شعيب الحقول الزراعية المهجورة، هذا بالإضافة إلى عدد من القطع الزراعية الصغيرة قرب مدينة تبوك التي كانت تعتمد في الري على عين السكر المجاورة لقلعة تبوك، إضافة إلى الآبار التي كانت تستخدم لري النخيل وحقول الذرة (فليبي، 2003م).

ووصف الورثيلاني أثناء رحلته إلى الحج أعلى الوادي من أرض مدين⁽⁶⁾ (البدع ومغاير شعيب) بأنه أرض صالحة للحرث (الورثيلاني، 1974م). كما اشتهرت المغاير بكثرة شجر النخيل والأثل والمقل (ابن بهرام، 2007م)، واشتهر عنب مدين بأن ثمره يُجنى مرتين في السنة. (الجاسر، 1982م) وقد عرّف موسل أرض مدين بأنها (المنطقة الممتدة بين البدع وساحل البحر) (موسل، 1988)، كما وُصفت أرض مدين بأنها تتكون بالكامل من نخيل مع شبكة معقدة لا يمكن اجتيازها تقريباً بسبب الأعشاب والحشائش (فليبي، 1965م). واشتهرت بكثرة البساتين لتوافر الأنهار العذبة والعيون (موسل، 1988) حيث ازدهرت زراعة النخيل (فليبي، 2003م)، وذكر العياشي أنواعاً من الفواكه التي كانت موجودة في مغاير شعيب، ووصف ذلك بقوله: "وتسوقنا بها أعراب مدين بأحمال كثيرة من العنب الجيد الأسود، وهو في غاية الحلاوة، وجاءوا برمان كثير" (الجاسر، 1984م)، كما اشتهرت بشجر نخيل (الدوم) (موسل، 1988). أما البدع فكانت تنتشر فيها الأجنّة والبساتين والنخل، وفيها العيون الكثيرة والأنهار المطردة العذبة. (فليبي، 2003م). والإشارات الواردة في كتابات الرحالة المسلمين والأوربيين الذين مروا في المنطقة ودونوا مشاهداتهم عنها تؤكد على أن البدع تمثل أحد أبرز الأماكن الزراعية في منطقة تبوك والتي تركزت الزراعة فيها على النخيل والعنب بأنواعه والرمان.

وتعد قُرْبَة⁽⁷⁾ وبعض الأصقاع الأخرى من القرى القديمة المعتمدة على الزراعة. وقد تفسر الإشارات الواردة عن سد قُرْبَة وبستان أشجار الطرفاء المنبقي من حداثق منمقة وملحقة بمجموعة من المباني، قد تفسر وجود نشاط زراعي، ويدعم هذا الرأي وجود عدد كبير من أشجار الكافور النامية في كثير من مجمعات القرية. وتوجد في وادي الهواتف رقع واسعة نسبياً معدة لزراعة محاصيل القمح والشعير اعتماداً على السيول الناجمة عن أمطار الخريف. ووردت إشارات عن أراض زراعية في مقنا فيها بساتين من النخل في الطرف الأسفل منها وعلى قمة جبلها التي يملكها أبناء بني عطية. كما شاهد فليبي على قمة جبل مقنا بستاناً ضخماً من النخيل، هذا بالإضافة إلى عدد من بساتين النخيل التي يملكها أفراد من بني عطية

منها، والتي اشتهر منها بستان نخيل المليحة (فلبى، 2003م)، وذكر أويتج الآلاف من أشجار النخيل التي شاهدها في تيماء (أويتج، 1419هـ). وقد ارتفع ارتفاع مجموعة من النخيل الفارع الطول في وسط واحة تيماء بخمسين قدماً. وبلغ عدد النخيل في واحة تيماء الذي كان يملكه ابن رمان⁽¹⁰⁾ 800 نخلة. أما أشجار الطلح التي انتشرت في تيماء، وهي أشجار كاملة النمو، فقد كانت وافرة في المنطقة إلا أنها تعرضت للقطع لاستخدامها غذاء للحيوانات، واستعمال خشبها وقوداً، أو صناعة الفحم منه لبيعه (فلبى، 2003م).

وقد لاقت زراعة النخيل في تبوك (موسل، 1988م) اهتماماً متزايداً بعد مد سكة حديد الحجاز، حيث تمكن أهل المنطقة من تسويق التمور في محطات السكة، وخاصة محطة تبوك (البولي، 2007م)، وكانت غابات النخيل تنتشر على مشارف تبوك وإلى الشمال من جبل العريق (أويتج، 1419هـ). وقد بلغ عدد شجر النخيل في تبوك خلال عهد الشريف حسين بن علي نحو ثلاثة آلاف شجرة (البيطار، 1967م)، كما انتشرت زراعتها في الجزء الرئيسي من تبوك والمحطة (الشمال الغربي) (فلبى، 2003م). وفي عين ريس (الجاسر، 1984م)، وفي عيون القصب، وفي مغاير شعيب. (ابن بهرام الدمشقي، 2007م) وفي مدين (الدرعي، د.ت)، ووأورد ابن بهرام أنواع بعض الأشجار في منطقة تبوك وتحديداً في البدع حيث يقول: "ويكثر بها النخيل وشجر الأثل وشجر المقل" (ابن بهرام الدمشقي، 2007م).

وفي ساحل المنطقة أيضاً انتشرت زراعة النخيل في المويلح حيث شاهد العياشي بساتين من النخل هناك، واشتهرت حقل باسم حفاير النخل، ربما لكثرة أشجار النخيل فيها (الجاسر، 1984م)، واشتهر أهل حسمى بزراعة أنواع النخيل المعروفة باللين (موسل، 1988م)، وذكر "تاميزيه" أن من المناطق التي مر بها وفيها أشجار من النخيل: قلعة مدرق (تاميزيه، 2001م)، وفي وادي عينونة (أويتج، 1419هـ).

وفي عهد الشريف حسين أيضاً اهتم أهل منطقة تبوك بزراعة أشجار العنب الأسود، والرمان، والنقاح، (العياشي، 2006م) والدراق والليمون الحلو والتين (البيطار، 1967م)، وتعد هذه الأنواع من الزراعات التي اهتم بها أهل تيماء، (دوتي، 2005م)، وانتشرت زراعة الفواكه أيضاً في مدين (العياشي، 2006م)، ووصف الجزيري الفواكه الموجودة فيها بقوله: "وأرض مدين بشاطئ البحر، على يوم من المغار، بها أشجار وكروم وحدائق، ويزرع بها بعض الفواكه كالنقاح، والبطيخ الأخضر، وحمل إلينا من تقاحها وبطيخها مراراً عديدة، وفي المغارة شجر عظيم من الجانب الغربي يسمى

كانوا قد اشتروها من ملاكها الأصليين (فلبى، 2003م). وقد وُصفت الأرض الواقعة في عيون القصب (عينونة) التي تقع بين مدين والمويلح⁽⁸⁾ (النابلسي، 1986م) بالخصبة والصالحة للزراعة، ومما ساعد على ذلك وفرة الماء الجاري إليها من بعض الجبال المحيطة بها، وقد اشتهرت بأشجار النخيل (الجاسر، 1984م). واشتهرت المويلح بكثرة البساتين والفواكه المتنوعة والأراك (كبريت، 1385هـ)، كما اشتهرت بكثرة الكروم (الزياني، 1967م)، والبساتين الحسنة والنخل (الجاسر، 1984م). ووصف بيركهارت مزارعها بالكبيرة (بيركهارت، 2007م) وبكثرة مزارع النخيل فيها (موسل، 1988م)، وفي وادي قبال حيث وردت إشارات عن بستان من النخيل فيها (فلبى، 2003م). وذكر تاميزيه أن من المناطق التي مر بها وفيها أشجار من النخيل قلعة مدرق (تاميزيه، 2001م)، أما في المنطقة القريبة من عين معيطر فقد وردت إشارات عن كتلة متشابكة من أشجار النخيل المتساقطة، والسعف والأغصان والأعشاب التحتية المنقطعة (فلبى، 2003م).

ووردت إشارات عديدة في كتابات الرحالة الأوربيين عن وجود أحواض زراعية وبساتين في بعض القرى والأماكن على امتداد الساحل في ضباء⁽⁹⁾، من ذلك وجود أحراش صغيرة من أشجار النخيل (موسل، 1988م)، وأحواض زراعية مسورة في وادي خريف ضباء، وواحة صغيرة في بستان من أشجار النبق على بعد حوالي 500 ياردة في وادي ضباء من حافة البحر، وفي جبل أم العواذر (أو أم العوذر) وردت إشارات عن وجود أربعة من المواقع كانت تشكل مستوطنة واحدة، وتسكنها عناصر مختلفة من قبيلة واحدة من المزارعين. كإشارة إلى الاهتمام بالزراعة، كما وردت إشارات عن وجود أحواض زراعية في وادي ضباء، وبعض الواحات الصغيرة المزروعة بأشجار النبق (فلبى، 2003م)، وشجر الدوم (صادق باشا، 1999م)، وبستان نخل (بيركهارت، 2007م).

2. المحاصيل الزراعية

تنوعت المحاصيل الزراعية التي كانت تُزرع في أنحاء المنطقة؛ فقد شملت الحبوب، ومنها الذرة التي انتشرت زراعتها على شكل حقول في مدينة تبوك، وفي الضاحية الجنوبية من تيماء، وعلى طول الطرف الجنوبي منها. كما انتشرت في تيماء حقول الشعير والدخن (فلبى، 2003م).

وكان التمر محصولاً رئيسياً للمنطقة، وعليه كان أهل المنطقة يعتمدون في غذائهم، وقد سبقت الإشارة إلى أن النخيل من أهم الأشجار المثمرة التي انتشرت زراعتها في معظم أنحاء المنطقة، مثل تيماء (دوتي، 2005م)، في الطرف الجنوبي

العرقانة، معظمها من نوع الرغل والبغيثران. (فليبي، 1965م)، وشجر يقال له -القلل- له رائحة طيبة، يتخذ منه أهل مصر والحرمين أعواداً يحرون بها أواني الشرب قبل وضع الماء فيها " (محمود، 2009م)، وشجر المقل، وأشجار البلमित ونبات البيطران (موسل، 1988م).

3. طرق الزراعة السائدة

اعتمدت الزراعة في المنطقة على الأساليب التقليدية المتوارثة عن الآباء والأجداد، (العثيمين، 1998م) ومنها استخدام المحراث اليدوي، وبعض الآلات التي تجرها الدواب (أبو علي، 1967م)، وبعد توحيد الملك عبدالعزيز البلاد اهتم بتطويرها في المجالات العديدة، فظهرت قرى زراعية أسهمت في تحسين الأحوال الاقتصادية لسكان البادية (أبو علي، 1975م).

4. المياه والزراعة

تنوعت مصادر المياه المستخدمة بالزراعة في منطقة تبوك، وتشمل مياه الأمطار، ومياه الأودية والسيول والآبار والعيون والسدود والخزانات، وقد استخدمت هذه المياه في الري وسقي الدواب، وقد وردت إشارات في المصادر والمراجع تلقي بعض الضوء على الوسائل المستخدمة في ري المزروعات وتوزيع المياه (الزعاير، 2014م).

ومن الآبار التي اعتمدت عليها الزراعة في منطقة تبوك بئر هداج⁽¹¹⁾ في تيماء (أويتج، 1419هـ) الذي اعتمد عليه السكان في ري محاصيلهم الزراعية (دوتي، 2005م)، حيث قدر عدد أشجار النخيل التي اعتمدت على مياه هذه البئر بالآلاف، وأورد أويتج نظام توزيع مياه بئر هداج بين ملاك البساتين في تيماء (أويتج، 1419هـ)، هذا بالإضافة إلى وجود عدد من الآبار التي كانت تستخدم لري النخيل وحقول الذرة. ومن طرق استخراج المياه من الآبار استخدام مضخة لري أراض صغيرة مزروعة بالذرة (فليبي، 1965م). وفي بلدة المويلج وجد عدد كبير من الآبار، أما في الوجه فكانت الآبار تقل بقلّة الأمطار (محمود، 2009م).

وكان في تبوك آبار عديدة لا يتجاوز عمقها أربع قامات كانت تستخدم لري النخيل وحقول الذرة، ومن هذه الآبار بئر ابن هرماس بتبوك (فليبي، 1965م)، وبئر ربحان والعشر، (أويتج، 1419هـ) وعلى مقربة من تبوك بئر ذات ماء على عمق قائمتين فقط، وقد نظم الأتراك مجموعة من الآبار لمصلحة الحجاج، ماؤها عذب غزير، منها آبار في حوض نفع (فليبي، 1965م)، وبركة تبوك (ابن بهرام، 2007م).

ووصف العياشي كثرة المياه في مدين بقوله: " بلدة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة" (العياشي، 2006م)،

الأيكه " (الجزيري، 2002م)، وذكر العياشي أنواعا من الفواكه التي كانت موجودة في مغاير شعيب، ووضح مما أورده العياشي أن العنب والرمان كان من الزراعات المنتشرة في مدين والبدع والمغاير، ويستدل على ذلك من كثرة أحمال العنب وكثرة الرمان، كما وصف العياشي بلدة على ساحل البحر بين مدين ومغاير شعيب بأنها كثيرة الفواكه (الجاسر، 1984م). ومن الأشجار المثمرة التي أشار إليها الرحالة وشاهدوها في منطقة تبوك أشجار التين والليمون والقريب فروت وشجيرات الرمان وأشجار الخوخ والعنب، وقد أورد "فليبي" في وصفه لحديقة قصر الأمير في تيماء أنواعا عديدة من الأشجار المثمرة التي شاهدها بقوله "لقد كانت الحديقة مكتظة بأشجار الليمون والقريب فروت (الليمون الهندي)، وشجيرات الرمان، وأشجار الخوخ والعنب المعروشة، وأشجار النخيل الطويلة التي كانت تتمايل برؤوسها الجميلة فوق المنتزه التابع للقصر. ومحصول التمر الذي يتأخر هنا عما في الجنوب، لم يُجمع إلا التو، وحتى قبل عشرة أيام فقد كانوا يأكلون تموراً طازجة من الأشجار مباشرة". (فليبي، 1965م)، وكان أهل تبوك يبيعون العنب والرمان للحجاج (محمود، 2009م)، وكذلك السفرجل. (موسل، 1988).

ولم تقتصر المحاصيل الزراعية في منطقة تبوك على الحبوب والذرة والنخيل والفواكه والحمضيات، وإنما شملت أيضا زراعة الخضار التي انتشرت زراعتها في مدين حيث انتشرت زراعة البطيخ الأخضر (الجزيري، 2002م)، والخضر (بكر، 1981م)، والمقائي في المويلج (الجاسر، 1984م) والبادنجان (موسل، 1988م). ويتضح من الإشارات السابقة ان زراعة الفواكه والحمضيات انتشرت زراعتها في نواحي متنوعة من تبوك منها تيماء والبدع ومغاير شعيب.

ومن الأشجار والنباتات التي انتشرت في أنحاء مختلفة من منطقة تبوك التي تعيش في البر: شجيرات الرثم (فليبي، 1965م) وأشجار الدوم في ضباء، (بيركهارت، 2007م)، وأشجار الأثل في مغاير شعيب (موسل، 1988م)، وتبوك (أويتج، 1419هـ). وفي قبر الطواشي وعيون القصب يوجد واد غزير المياه تنبت فيه أحراش من الغاب والبردى، (موسل، 1988م)، وشجر الجميز (تاميزيه، 2001م)، والقصب، وعدد وفير من شجيرات الحمض والرثم والأعشاب الأخرى في تيماء، ومقنا، وأشجار الطرفاء (فليبي، 1965م)، والعشب والحطب في تبوك، وفي الطريق من تبوك إلى تيماء ذكر "أويتج" أنه شاهد وفرة العشب، وكثرة نبات الكحلة التي هي نوع من الخضار يتم طبخها وأكلها (أويتج، 1419هـ). ووردت إشارات عن وجود الكثير من النباتات في أودية منطقة طعوس

من أفراد العائلة بمراقبة سير الماء خلال الجداول (السواقي) التي تمتد عبر شوارع كي لا يتسرب منه شيء (أويبتج، 1419هـ).

وأسهب فلبلي هو الآخر في وصف عملية استخراج المياه من بئر هداغ التي ذكر أنها حفرة هائلة مستديرة تقريباً مضفورة بحجارة مقطوعة جيداً، لا ينضب منها الماء الذي يصل سطحه الى حوالي ست قامات أسفل حافة البئر، وهذه الحافة تحمل هيكلًا خشبيًا بدائيًا جداً وشديد التعقيد ليسند البكرات التي تتدلى منها حبال البئر المربوطة بقرب مختلفة الأحجام من جلد الماعز والإبل، ويسحبها البعير للخارج إلى أن تصل فوهاتنا إلى مستوى الأحواض الكثيرة العدد، الأشد تعقيداً من الهيكل الخشبي العلوي، فيعضها يمر أسفل بعض، وكلها تنتشر على شكل مروحة في دائرة واسعة لتمر على مختلف بساتين الواحة. وأشار فلبلي إلى أنه كان يتم توفير مساحة لتسع وتسعين جملاً لتسحب الماء في وقت واحد لتلبية الحاجات الملحة أثناء ذروة الصيف، بيد أنه قيل إن العدد لا يزيد على سبعة وسبعين جملاً في موسم الجفاف. وذكر مشاهدته لثلاثة من الإبل فقط تعمل في سحب المياه. وبعد ذلك بأسبوع ذكر أن سبعة وثلاثين جملاً تسحب المياه، وعد ثلاثة وأربعين بكرة فقط في الموضع وقال في ذلك "وينقل الماء في قنوات صغيرة ضيقة مبنية بصورة غير منظمة من الحجارة، وقد عدت منها سبعة وعشرين في حالة صالحة للعمل، بينما أربع منها أخرى من الواضح أنها لا تستخدم" (فلبلي، 1965م).

وبعد عملية الاستخراج تكون عملية التوزيع حسب حصص على الأراضي المملوكة، فقد كانت ملكية الماء مقسمة إلى حوالي ثلاثين قسماً أوحصة، ليست بالضرورة موزعة على العدد نفسه من العائلات. وكل قسم أو حصة تمثل تقريباً ملكية ثلاث بكرات، على الرغم من أن بعض الملاك كانوا في فقر مدقع حتى أنهم لا يستطيعون شراء أو تأجير إبل مناسبة (فلبلي، 1965م).

كما اعتمدت الزراعة في بعض الأحيان على خزانات مياه يستفاد منها في سقي حقول المزروعات البسيطة التي يزرعها البدو مثل الشعير والدخن، واستخدمت المضخة لاستخراج المياه من الآبار لري أراض صغيرة مزروعة بالذرة (فلبلي، 1965م).

وبعد بئر هداغ من مصادر الري الرئيسة إذ كان يروي عدداً كبيراً من أشجار النخيل يصل إلى آلاف، وكان ذلك مستمراً منذ القدم مما يدل على كثرة مياه البئر (أويبتج، 1419هـ).

وفي وادي الزريب⁽¹²⁾ اعتمدت الزراعة على بئر الشادوف

ومن الأماكن التي انتشر فيها عدد من الآبار وادي ضبا وأشهرها ببئر أبو شعلان، واشتهر ببئر العجيوة في الوجه، وبئر أملج، وبحيرة العويصية (فلبلي، 1965م). وعينونه التي وصف النابلسي عين الماء فيها بالغزيرة، ووصف جريانها كالنهر (النابلسي، 1986م).

ومن مصادر المياه التي اعتمدت عليها الزراعة في المنطقة وخاصة في زراعة وري النخيل الأمطار والسيول الموسمية عن طريق احتجاز مياه الأمطار عبر السيول مما يوفر رطوبة دائمة في طبقات التربة التحتية، التي نما وازدهر فوقها عدد هائل من أشجار الطلح الطويلة الباسقة، وكذلك الحقول التي كانت تزرع فيها محاصيل الحبوب (فلبلي، 1965م).

ومثلت مياه العيون مصدراً آخر من مصادر الري في المنطقة، ومن هذه العيون: عين السكر ومياه قلعة الحاج لري النخيل وحقول الذرة (فلبلي، 1965م)، وعين كريم، وعين رايس، وعين ومزرعة "أبو سبعة"، وكانت هذه العيون تروي عدداً من المناطق الزراعية قرب مدينة تبوك، ووردت إشارات عن وجود آثار وعلامات تتمثل في الحقول الزراعية المهجورة التي كانت تروى من العيون الخاملة والسيول في جنوب-شرق تبوك، وفي وادي شرما كانت هناك أربع من العيون تتحد إلى قاع الوادي من واحة كبيرة مزروعة بنخيل كثيف (الغريض، د.ت)، ووردت إشارات لنبعي ماء في مقنا، وكذلك النبع الشهير المعروف بعين الطباخة، وينابيع مشاش، وكذلك الجداول المائية ومنها في مقنا: جدول يعرف باسم المعيطر (فلبلي، 1965م)، وكذلك مغاير شعيب التي يسميها البدو (البدع)، وعيون القصب، وهذه العيون تتجمع مكونة قناة ينبت على جانبيها القصب والبردى. (موسل، 1988م)، ومن بين مصادر المياه التي اعتمد عليها في الزراعة بركة (أبا البيبان) التي كان يرتادها البدو والمسافرون (فلبلي، 1965م).

أما عملية تنظيم السقي وتوزيع المياه بين المزارعين فإن من أوضح الإشارات الواردة في ذلك ما أورده أويبتج حول نظام توزيع مياه بئر هداغ بين ملاك البساتين في تيماء، فقد كان يتم إخراج الماء من البئر ليسير عبر قناة تتفرع منها جداول صغيرة لكل منها صمام يتم من خلاله حبس الماء، ومن المعتاد أن كل من له نصيب من مياه تلك الجداول يقوم بجلب جمل للعمل في إخراج قرب الماء من أعماق البئر، كما يحرص بنفسه على صحة عملية توزيع الماء خلال تلك الجداول السواقي. أما ملاك الجمال ومؤجروها فيفقون في الممر الذي تسير خلاله الإبل وهي تسحب الماء لإعطائها حفنة من العلف وحثها على المسير بسرعة، بينما يقوم الصغار

الأشجار: الطلح والأنواع الأخرى من السنط، التي توافرت بكثرة في المنطقة. هذا بالإضافة الى حرقها حية لتحويلها إلى فحم يذهب إلى أسواق القرى والمدن (فلبى، 1965م).

ج. التجارة

1. الأهمية التجارية للمنطقة

ارتبط النشاط التجاري للمنطقة بالعديد من العوامل التي أثرت في وجود هذا النشاط ونموه، أو تراجعها، ولعل من أهم هذه العوامل التي ترتبط بزمان الدراسة: الموقع الجغرافي للمنطقة على طريقي الحج المصري والشامي، ومرور قوافل الحج في معظم أراضيها عبر محطات على طول الطريق، وارتبط نشاط الموانئ البحرية الواقعة في منطقة تبوك بالأوضاع السياسية في كل من الحجاز ومصر والشام، وبمدي توافر الأمن على طول طريقي الحج (غبان، 1993م)، وبقيت الموانئ الساحلية تمثل أهمية بارزة كمراكز للحركة التجارية بين منطقة تبوك والساحل المقابل لها، وكذلك بين سكان الساحل وأبناء البادية الرحّل الذين كانوا يرتادون الموانئ للتزود بما يحتاجون إليه، وبيع ما يفيض عن حاجتهم مما يُنتجون (الرويثي، د.ت)، وساعد وضع المدن الساحلية على البحر الأحمر في استخدامها منذ آلاف السنين كموانئ لها دورها المهم في خدمة التجارة العالمية، وأهمها: ميناء الوجه، (العلي، 1997م) في حين جعل الموقع الجغرافي المهم أيضاً لمدينة تبوك على طرق الحج من المدينة نقطة اتصال في العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والشام. (الدريس، 1980م)

وشهدت المنطقة في عهد الملك عبد العزيز نشاطاً تجارياً متزايداً، بسبب إلغاء بعض الضرائب التي كانت تُجبي، وتوحيد الرسوم التي تُؤخذ من التجار (الشعبي، 1999م)، وقد نشطت التجارة بين موانئ الوجه والسويس والطور والقصير (البلاوي، 2010م) ونظراً لعدم توافر وسائل النقل الحديثة في داخل منطقة تبوك مثل السيارات، فقد كان البدو الرحل ينقلون ما يرغبون في بيعه مثل السمن واللبن على الجمال إلى أسواق المراكز العمرانية حيث تتوفر السلع التي يحتاجونها، وقد ينقلون على الجمال ما يرغبون في بيعه خارج المنطقة في الأردن، وفلسطين، ثم تعود محملة بما يبتاعونه من تلك الأسواق (الغريص، د.ت).

2. مراكز التجارة في المنطقة وعلاقاتها التجارية

كانت تيماء من أهم المراكز التجارية التي اشتهرت في منطقة تبوك، وقد ارتبطت باتصالات تجارية مع كل من العراق ومصر والشام عبر طرق برية عدة منها: الطريق إلى حائل ثم إلى العراق، والطريق إلى معان العقبة ثم سيناء ثم إلى مصر،

وبئر الندلاوي⁽¹³⁾ حيث كانت توجد على بئر الشادوف - آلة تعرف باسم الشادوف، يُرفع بها الماء من قاعها لسقي المزارع التي حولها (غبان، 1993م)، واشتهرت الأزلم بوجود آبار فيها لشرب الدواب (محمود، 2009م).

توضح المعلومات الواردة عن الزراعة وأنواع المحاصيل الزراعية والأماكن الزراعية المنتشرة في أنحاء المنطقة، أن الزراعة شهدت اهتماماً ملحوظاً في بعض أنحاء المنطقة حيث تؤكد الإشارات التي تم إيرادها في موضوع الزراعة عن اشتغال بعض السكان في بعض القرى في المنطقة بالزراعة وإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية، والرحالة الذين مروا بالمنطقة أوردوا إشارات عديدة عن تنوع وفير في المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها المنطقة سواء من الفواكه والحمضيات أو الخضار أو الحبوب، وساعد على ذلك توفر مصادر المياه في بعض أنحاء المنطقة التي أسهمت في الاهتمام بالزراعة إلى جانب وجود نظام لتقسيم المياه بين ملاك الأراضي الزراعية مما يكشف عن وجود تنظيم في هذا الشأن بين المزارعين.

5. الأيدي العاملة بالزراعة وطرق جني الثمار

لا توجد إشارات كثيرة في المصادر عن الأيدي التي كانت تعمل بالزراعة، وربما اعتمدت الزراعة على الأسر التي كانت تمتلك أراضي زراعية، ومن ذلك أن سكان البدع اشتغل بعضهم بالزراعة (بكر، 1981م)، أما تيماء فقد كان أهلها الأصليون جميعهم يعملون في الزراعة، وخاصة أن مزارعهم كانت تكتظ بأشجار النخيل والحبوب والحمضيات وغيرها من المزروعات المتنوعة والمنتجة، وفيما يتعلق بطرق جني الثمار ذكر فلبى أنه رأى جامعي محصول الثمر في تيماء يستخدمون أحياناً نوعاً من الأحزمة يحيط بالنخلة من جانب وبظهورهم من الجانب الآخر، وكانوا يقذفون الحزام إلى الأعلى في أثناء تسلقهم، وهم يمسكون ساق النخلة بأيديهم ويضعون أقدامهم على الجذوع التي يقطع منها السعف في كل موسم (فلبى، 1965م).

6. المشكلات التي واجهت الزراعة في المنطقة

كانت الآفات الزراعية وقطع وحرق الأشجار من أبرز المشكلات التي واجهت الزراعة في المنطقة، ومثل الجراد أحد أكبر الأخطار والآفات الزراعية، فقد كانت معظم الحقول التي تُزرع فيها محاصيل الحبوب تتعرض لهجمات الجراد المتكررة فتُتلف هذه المحاصيل، وقد تدهنت الدولة السعودية المعاصرة في بداية عهدها لهذا الخطر وعملت على مكافحته، والتصدي له (دوتي، 2005م). كما تعرضت الأشجار في بعض الأماكن من المنطقة للتدمير بقطع فروعها كاملة لتغذية قطعان الماشية، وأحياناً لاستعمالها كخشب أو فحم، ومن هذه

لديهم من حطب من أجل بيعه. أما الحوراء⁽¹⁴⁾، فنشطت تجارتها إذ أقامت علاقات تجارية مع مصر، كما مارس بعض سكانها بيع الأسماك. (الدرعي، د.ت).

أما الوجه⁽¹⁵⁾ فقد وصفها العياشي في رحلته (ماء الموائد) بأنها مستودع لخزن الطعام والعلف "وخرن الناس في بندر الوجه ما يحتاجون في الإياب من طعام وعلف"، وذكر أسعار بعض السلع كانت ترتفع أثناء عودة الحجاج عن طريق الوجه (الجاسر، 1984م)، أما البتوني الذي زارها عام 1324هـ/ 1906م فقد ذكر أنها كانت تعمر بالأسواق عند مرور الحجاج بها (البتوني، د.ت)، وظهرت أملج كمدينة ومرفأ متطور في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وساهمت في إنعاش الحركة التجارية بينها وبين مدن وموانئ البحر الأحمر في مصر والسودان واليمن والحبشة، وبينها وبين موانئ ومدن الحجاز أيضا. (نوبع، 2010م).

وشهدت موانئ منطقة تبوك حركة تجارية نشطة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، فخلال هذه الفترة كانت موانئ المنطقة تستخدم لنقل منتجاتها إلى أسواق مصر والسودان وأرتيريا والحجاز الجنوبي بوساطة السفن الشراعية، وترد إليها البضائع التي تحتاجها من تلك البلاد. (غبان، 1993م). وكان التبادل التجاري، قبل الفترة المشار إليها، يتم بين أهالي المراكز العمرانية في المنطقة مثل: أملج والوجه وضباء والمويلح والخريبة والبدع وتبوك والعلاء وتيماء وشغب وشواق (العبيدان، د.ت)، وبالمقابل كان تجار تبوك يمارسون التجارة مع غزة ويثر السبع في فلسطين، والعريش في مصر، حيث يبيعون هناك: الماشية والإبل والسمن (الغريض، د.ت).

3. الطرق التجارية

تتقسم الطرق التجارية في منطقة تبوك قسمين: طرق بحرية وطرق برية، وتربط الطرق البحرية بين الموانئ الواقعة على ساحل شمال الحجاز وتشمل: ضباء وأملج وينبع وجدة والمويلح والخريبة ورابع مع الموانئ الخارجية غير السعودية وتشمل: الموانئ المصرية في السويس والطور والقصور وسفاجا. والميناء الأردني (العقبة). والموانئ السودانية وتشمل: بورسودان وسواكن. والميناء الأرتيري (مصوع). أما الطرق البرية التي تربط بين مدن وبلدات منطقة تبوك فهي: الطريق الرابط بين ضباء والقرى المجاورة مثل: مقنا والبدع والخريبة وشرما وتريم والمويلح وتبوك وشغب وأشواق (العبيدان، د.ت)، ووالطريق الذي يربط تبوك مع مدينة معان في جنوبي الأردن (قلمي، 1965م)، وشكلت تيماء نقطة وصل بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبها ووسطها، فمن تيماء تفرعت أربع طرق باتجاه

وارتبطت المنطقة بالشام عبر طريقين: الأولى عبر بصرى الشام، والثانية عبر معان ثم البتراء ثم بصرى. وكان لتيماء اتصال مع البحر الأبيض المتوسط عبر طريق العقبة ثم غزة (أوليري، 1990م).

وجعل الموقع الجغرافي المهم لمدينة تبوك على طرق الحج منها نقطة اتصال في العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والشام (الدريس، 1980م) وقد يكون ذلك من العوامل التي دفعت بالعثمانيين إلى إنشاء قلعة فيها لخدمة قوافل الحج، وكانت تُقام في القلعة في مواسم الحج سوق لتبادل السلع بيعا وشراء (عجيمي، 1409هـ).

وشكلت مدين بموقعها الجغرافي نقطة التقاء بين الهلال الخصيب وشبه جزيرة سيناء ووادي النيل وشبه الجزيرة العربية في جزئها الشمالي والغربي (الناظوري، 1984م)، مما جعل الرحالة الأوروبيين الذين مروا بها يصفونها بالمحطة الرئيسية على طريق التجارة بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها، (سلامة، 1422هـ)، أما التجارة الداخلية في مدين فقد وصفها العياشي بقوله: إن أعراب مدين كانوا يبيعون على الحجاج العنب والرمال (الجاسر، 1984م).

ومثلت المويلح أحد أبرز المراسي التي كانت تنزل بها السفن القادمة من السويس ومن جدة والقصور، وذلك حسب وصف العياشي المتوفى عام 1090 هـ/ 1679م، وقد ذكر أنها كانت مركزا لتوزيع بعض السلع التي كان يتم استيرادها من مصر (الجاسر، 1984م). ووصفها عبد الولي سنة 1265هـ/ 1848م بأنها سوق للبدو المجاورين لها، وكانت المراكب ترسل إليها بمؤن للحجاج. (بكر، 1981م). وقد منحها موقعها الجغرافي دورا مهما في إقامة علاقات تجارية مع بلدان عديدة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت منزلا رئيسا للركب المصري وحجاج بلدان المغرب الإسلامي. وقد وصف العياشي أهمية مينائها بقوله: "وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من السويس والقادمة من جدة ومن القصور" (العياشي، 2006م)، ووصف الورثيلاني بندر المويلح بقوله "فيا له من بندر فاق البنادر، يأتي إليه الوارد والصادر، وبه جملة من الكروم التي تذهب برؤيتها الهموم، وبمخازن القلعة تودع الودائع، وإلى سوقها تُساق نفائس البضائع، من ثمار تجلبها العرب، وزلاية عجبها كاللجين فإذا قُليت أشبهت الذهب" (الورثيلاني، 1974م)، وذكر الدرعي أن بني عقبة ومعازة وبلي في المويلح كانوا يحملون الفول وغيره للركب إلى قرب أراضي جهينة، فسوقها كان يعد من أوسع الأسواق في بلاد الحجاز، وفضلا عن ذلك كان في المويلح مرسى للسفن القادمة من مصر وجدة وسويس والقصور وغيرها، وكان الأعراب يخزنون في الوجه ما

المدينة (البكري، 1983م)

4. السلع التجارية

تنقسم السلع التجارية في المنطقة قسمين: سلع من إنتاج المنطقة، ويتم تبادلها بين بلدات المنطقة، وتصديرها بالتبادل مع الخارج، وسلع مستوردة من خارج المنطقة.

ومن السلع التجارية المنتجة في المنطقة: العنب والفواكه (الورثياني، 1974م)، والعنب الأسود والرماني، والعلف، واللبن والماء (الجاسر، 1984م) والحشيش الذي يقدم للإبل (صادق باشا، 1999م)، والغنم (الورثياني، 1974م)، والفحم النباتي (العبيدان، د.ت)، والحطب الذي كان يخزن في الوجه لبيعه للركب (العبدري، 2005م)، وقد اشتهرت طُناً بتجارة الحطب والفحم والسمك (صادق باشا، 1999م)، وكان البدو في مرسى ظبا يُحضرون السمن والحليب والعسل والخراف والنعاج والسمك المملح وخشب الوقود والمسايك لمبادلتها بالذرة والتبغ (بيركهارت، 2007م)، وقد وصف العياشي سوق المويلح الذي كان بباب القلعة بقوله: " وعلى باب سوق كبير يوجد فيه غالب المحتاج، وفيه مقاتي كثيرة من دلاع وبطيخ وغير ذلك " (العياشي، 2006م)، واشتهرت المويلح بتوافر السمك فيها (كبريت، 1385هـ)، بينما اشتهرت الوجه بتوافر الفحم النباتي والسمن والصوف والأسماك فيها (البتوني، د.ت)، وكان أهل البادية يشترون من أسواق تيماء التمر والقمح والشعير والذرة والحبوب، أما السلع التجارية التي كانت تجلب إلى سوق تبوك فهي التمر من مدينتي العلا وتيماء، بالإضافة إلى ما تجلبه البادية من الأغنام والسمن والإقط والعسل والفحم (العبيدان، غير منشور). أما البضائع المحلية الموجودة في تبوك فكانت تتمثل في الفحم النباتي، والسمن، والعسل، والصمغ، والحناء، والسمك المجفف، والأصداف، والقواقع البحرية (غبان، 1993م).

ومثلت أملج بندرا ومركزا لتلقي المنتجات القادمة من ظهيرها الرعوي والزراعي من سمن وعسل ومواش وفحم وأعلاف، كما كانت سوقا لترويج المنتجات البحرية، وقد ساهمت المناطق الزراعية التي تعتمد على الأمطار والمنتشرة حول المدينة في هذا النشاط حيث يتم بيع الإنتاج الزراعي من حبوب كالدخن والقمح والبطيخ [الحبب] في السوق ذاته، وللمزارع التي تعتمد على المياه الجوفية والعيون مساهمة أيضا في هذه الحركة التجارية لما تقدمه للسوق من إنتاج كالتمر والرطب وبعض الفواكه والخضروات وأعلاف الحيوانات على مدار الأسبوع، وخاصة في يوم الجمعة. كما أن إنتاج عسل النحل المميز الذي تشتهر به هذه المدينة يجعل من هذا السوق محط أنظار تجار المدن القريبة من أملج كالوجه وينبع.

(العبيدان، غير منشور) وكان الفحم النباتي من الصادرات الرئيسية إلى أسواق السويس، بينما كانت أصداف الكوكيان ترسل إلى بورسودان، حيث تصدر من هناك إلى إيطاليا (قلبي، 2003).

ولعبت الوجه بما تملكه من مقومات طبيعية وبشرية دوراً مهما في التجارة فقد ذكر البتوني الذي زار الوجه عام 1324هـ/ 1906م أنه عند مرور الحجاج بها كانت تعمر بالأسواق، وكانت منتجات الوجه تشمل الفحم النباتي والسمن والصوف والأسماك، وتجارها مع السويس حيث تصلها باخرة الوسته الخديوية كل خمسة عشر يوما بصورة منتظمة (البتوني، د.ت)، ومن القوافل التجارية التي كانت تصل إلى الوجه، قافلة عزة التي تتكون من مائة وثمانين جملاً، ويرافقها من التجار من بيع الزيد ونحوه هناك، ويشترون مقابلته الرز والقهوة... إلخ (أويتج، 1419هـ)، وكان من أهم السلع التي تصدرها منطقة الوجه الفحم والسمن البري والإبل والأغنام نظراً لوجود المراعي الطبيعية وانتظام سقوط الأمطار، والفسيح (هو السمك المحفوظ بالملح لفترة طويلة) والعسل والذي يتوافر في المناطق الجبلية العالية بقرى الوجه، وحب اللبان والأصداف والقواقع البحرية وخيار البحر (العبيدان، غير منشور).

وشهدت الحركة التجارية في المنطقة أيضا تبادلات تجارية مع المراكز التجارية المجاورة للمنطقة وخاصة مع الشام ومصر، وكان من بين السلع التجارية التي تأتي إلى المنطقة الأرز والشعير والفول والعدس والذرة والدخن والقمح والقهوة والتمر والسمن والحمص والخروب والتبغ والكبريت والبيض والفحم والمسلى والقماش وعسل النحل والأخشاب والحناء والبصل وغير ذلك من المواد. وترد إليها هذه البضائع من القصير والسويس على مراكب شراعية. ومن السلع التي كانت تجلب إلى سوق تبوك من بلاد الشام السلع المستوردة من الأردن وفلسطين: السكر والشاي والقهوة والهيل والتبغ والقمح والطحين والخناجر والأحذية والصايات والسرراويل والأشمعة والغتر والأثواب والعطارة وبعض الفواكه والمواد الغذائية، وقد ارتبطت مدينة أملج بمدن البحر الأحمر بروابط تجارية بالغة الأهمية، وخاصة بمدينة السويس وعدن ومصوع والعقبة، ولعبت الوجه دوراً مهما في تجارة موانئ البحر الأحمر في الاستيراد والتصدير للعديد من السلع التجارية. (العبيدان، غير منشور) وكان عرب بني عطية يكترون الفول ويحملونه من مصر، وكانت قبيلة بلي تتولى كربه حتى ينبع (الجاسر، 1984م).

5. الأسواق

أسهم مرور قوافل الحج في معظم أراضي المنطقة عبر

وقد ذكر قلبي أن الأتراك هم من خطط السوق ليفي بالمتطلبات الحالية والمقبلة لمحطة السكة الحديدية، (قلبي، 1965م)، وكان أهل تبوك يجلبون ما يحتاجون إليه من مدين التي كان سكانها يستعملون المقاييس والمكايل الشامية (موسل، 1988م).

أما سوق مغاير شعيب الذي يقع على طريق الركب المصري، فكان يتم عقده بشكل موسمي، وقد وصفه العياشي بقوله: "نزلنا في المكان المسمى بمغائر شعيب، عليه السلام، ...، وتسوقنا بها أعراب مدين بأحمال كثيرة من العنب الجيد الأسود، وهو في غاية الحلاوة، وجاؤوا برمان كثير، واشترى الناس العنب أولاً بدرهمين، ثم صار بعد ذلك رطل ونصف بدرهم" (العياشي، 2006م)، وفي أواخر العصر العثماني تراجع هذا السوق، فقد وصفه محمد صادق باشا بقوله: "وهو محل بين تلال... ولا يباع بهذه المحطة شيء سوى حشيش البهائم" (صادق باشا، 1999م).

وفي منزل الشرفات الذي يعد منزلاً من منازل الركب على طريق الحج المصري يوجد سوق يسمى أبو العظام، كانت بعض نساء العرب يعرضن فيه منتجات الألبان للبيع، وقد ذكره العياشي قائلاً: "ونزلنا به وتسوقنا بعض نساء العرب بلبن وغيره ... وربما عطش الركب في ذلك المحل فيأتيهم العرب بماء يبيعونه" (العياشي، 2006م) واشتهر سوق الأزلم بضخامته، وينسب إلى موقع الأزلم بين ضباء والوجه حيث كان ينصب سوق كبير قبيل عودة الحجاج في رجعتهم من الحج، ويتجمع فيه الباعة حاملين معهم الزاد والعليق وغيره للبيع على الحجاج. وقد وصف الجزيرة سوق الأزلم بقوله: "والأزلم من المناهل الكبار المعدة لاستعداد المحتاج من الحجاج" (الجزيري، 2002م)، واشتهر سوق المويلح بانعقاده في باب حصن المويلح، وقد وصفه العياشي (ت 1090هـ / 1679م) بالكبير، وأنه يوجد فيه غالب المحتاج (الجاسر، 1984م). ووصفه العياشي بقوله: "وهناك حصن كبير فيه عسكر وأمير، ويخزن فيه الميرة والفول كثيراً، وعلى بابه سوق كبير يوجد فيه غالب المحتاج، وفيه مقاتي كثيرة" (العياشي، 2006م)، إلى سوقها تساق نفائس البضائع (الورثياني، 1974م)، وهكذا مثلت المويلح أهمية كبيرة في التجارة حيث وصف "بيركهارت" سوق المويلح بالسوق المهم والمنظم (بيركهارت، 2007م).

ويقع السوق القديم في ضباء في الجهة المقابلة للشاطئ، ويتوسط مساحة واسعة يطلق عليها المناخة. وتعد أسواق الوجه من الأسواق العامرة في منطقة الحجاز وخاصة سوق المناخة الذي يعتبر القلب النابض لحركة السوق، وقد ارتبط انشاؤه مع نشأة المدينة تدريجياً من البحر جنوباً إلى الهضبة شمالاً

محطات على طول الطريق في إحداث نشاط ملحوظ في الحركة التجارية داخلها إذ كانت قوافل الحج القادمة من الشام ومصر تتجمع في المنطقة، وتقيم سوقاً يرتاده أهاليها من البادية والحاضرة، وتتم فيه عمليات البيع والشراء (جلبي، 1999م)، ومن أشهر الأسواق الموسمية المرتبطة بحركة مرور الحجاج على طريق الحج المصري والشامي سوق: أيلة التي وصفها العبدري بقوله: "وأيلة من أسواق الركب الكبار، وربما أقام بها يومين وثلاثة لأنها مجمع المصريين والشاميين يتجمعون بها في طلوع الركب ورجوعه" (العبدري، 2005)، وكان يصلها من معان الفواكه مثل الخوخ والرمان والعنب (صادق باشا، 1999م)، ومن غزة الدبس والدقيق والشعير والزيت، ومن الكرك والشوك والقدس الزبيب واللوز العربي والوخ والرمان والعنب والنقاح والجوز. (الجزيري، 2002م)، كما كان يُعرض في تلك الأسواق بعض المنتجات الزراعية المحلية مثل البامية والخضار والتمور بالإضافة إلى الأسماك. (صادق باشا، 1999م)، وكان يفد لتلك الأسواق البدو ومعهم الإبل والغنم والسمن والعسل وعلف الدواب للبيع والشراء (العياشي، 2006م)، ووصف الورثياني السوق بقوله: "وفيها لا يكاد أن يحصى ما فيها من أنواع البز والثياب والأمتعة والأطعمة وأنواع الخير من كعك وخبز" بالإضافة إلى التوابل ذات الأصناف المختلفة، فمن دخل السوق اشترى بكل ما يملك من الدراهم (الورثياني، 1974م).

وتوزعت الأسواق في تيماء تبعاً لأحيائها حيث ذكر "أويتج" أن فيها ثلاثة أسواق موزعة على أحيائها، وهذه الأسواق: سوق العلي، وسوق الماضي، وسوق الحمدة (أويتج، 1419هـ)، إضافة إلى سوق الغيث، وسوق الناجم، وسوق الفريجة، وسوق البريدع، وهي أسواق تتشابه في بضائعها وموادها، ويباع فيها التمر وبعض أنواع الحبوب (القمح والشعير والذرة وغيرها) وثباج فيها أيضاً القهوة والهيل. (العبيدان، غير منشور)، وشاهد (قلبي) سوق تيماء وذكر أنه يضم حوالي عشرين دكاناً، ملاكها من غير أهل تيماء، ومعظم الدكاكين مغلقة، وملاكها غائبون (قلبي، 1965م).

ونظراً للموقع الجغرافي المهم لمدينة تبوك على طرق الحج الذي جعل منها نقطة اتصال في العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية والشام (الدريس، 1980م)، كانت تقام فيها سوق لتبادل البيع والشراء يُعقد في مواسم الحج (عجيمي، 1409هـ)، وتعود نشأة السوق فيها إلى الأتراك، وقد ارتبط ذلك بتأسيس محطة سكة الحديد، وكان الهدف الرئيس من تأسيسه تلبية متطلبات محطة السكة، وكذلك متطلبات وحاجات السكان، ويقع السوق قرب قلعة تبوك (العبيدان، غير منشور)

(العبيدان، غير منشور)، وارتبط نشاط حركة أسواق الوجه بحركة الحجاج أثناء عبورهم وعودتهم (صادق باشا، 1999م). أما سوق الحوراء فقد وصفه العياشي بقوله: "وفي الحوراء كان ينصب للحاج سوق كبيرة احتوت على معظم السلع الضرورية، وتجلب إليها البضائع والسلع ذوات الأثمان، ويجلب إليها من الثمار والفواكه والحبوب والفول شيء كثير" (العياشي، 2006م)، وانعكس انعقاد السوق في الحوراء على نشاط الحركة التجارية حيث نشطت تجارة الأسماك والتمور، ووصف العبدري ذلك المشهد بقوله: "وهناك - أي في الحوراء - جزيرة في البحر منقطعة يسكنها بعض العرب، والحوت (السماك الكبير والصغير) غالب عيشهم، وإذا نزل الركب جلبوه إليهم، وبالحوراء يتلقى أهل ينبع الركب بالتمر" (العبدري، 2005م)، ويستغل بعض العربان تلك المناسبة ببيع ما لديهم من تمر وعسل وحشيش خصص للدواب. (صادق باشا، 1999م)، ومن أشهر الأسواق في امّالج سوق الجمعة الذي ساعد على نشاط التجارة المحلية، وفيه يباع إنتاج المنطقة من المواشي والإبل والأغنام والماعز ومنتجات الألبان من سمن ومضبر وزبدة، وكذلك أعلاف الحيوانات والحطب والفحم، ويتم بيعها كل يوم جمعة على وجه التحديد في حراج عام في وادي الساند القريب من المرسى، ثم يقومون بشراء ما يحتاجونه من حبوب وأقمشة وتوابل وغيرها من قيمة ما تم بيعه. (العبيدان، غير منشور).

6. العملات والأسعار وطرق التعاملات التجارية

لم يكن للحجاز عملة خاصة، ولذا كانت العملات العثمانية المعدنية هي الأكثر استخداماً، وكان التداول يتم بعملات كثيرة من الدول الأجنبية والدول الإسلامية في موسم الحج، وكان القرش التركي بنوعيه الذهبي والفضي معروفاً بفئاته (اثني وخمسة وعشرة قروش) أما فئة العشرين فكان يُطلق عليها الريال المجيدي العثماني، وهو من العملات المتداولة في الوجه، ومن العملات التي كانت متداولة في مدينة الوجه أيضاً: الجنيه المصري والفرنك الفرنسي. وعُرفت أيضاً العملات الفلسطينية وبها تقدر رواتب الموظفين وغيرها (العبيدان، د.ت)، وكان الريال يُسمى قرشاً، وقد استخدمت المسكوكات من الذهب والفضة، وكذلك القيراط، وهو جزء من 24 جزءاً من الدينار، ويختلف قيراط الذهب عن قيراط الفضة والجدير بالذكر أن العملات التي استخدمت في منطقة تبوك تنوعت عبر العصور التي مرت على المنطقة حسب التبعية والنفوذ، ومن هذه العملات في العهد العثماني: المجيدي العثماني، (البليوي، 2010) ثم النقود العربية الهاشمية (وهيم، 2007م)، وقد استمرت هذه العملات في بداية عهد الملك عبد العزيز، إلى أن

تم إصدار العملة السعودية الخاصة للبلاد (الطيّار، 1420هـ). وتفاوتت الأسعار بين الارتفاع والانخفاض حسب العديد من الظروف كانتشار الرخاء، وقدم الحجاج ومغادرتهم عبر المحطات على طريق الحج، فقد أورد العياشي إشارات عن انخفاض أسعار بعض السلع في أسواق أيلة قياساً مع أسعار الشام ومصر، ولعل ذلك ارتبط بكثرة العرض وقلة الطلب على بعض السلع، فقد قال: "فأقمنا بتلك المنزلة ثلاثة أيام ... وقد وردت الفواكه من غزة وأعمالها، فنصبت للبيع ورخصت الأسعار" ثم أضاف "وجدنا الفول فيها رخيصاً أرخص مما اُكترى عليه من مصر" (العياشي، 2006م)، وكان بعض الحجاج يعتقد أن أسعار أيلة تُماثل أسعار الشام لذا لم يكملوا شراء مستلزماتهم من مصر على أمل أن يشتروا ما يلزمهم من أسواق أيلة، لكن المفاجأة أن أسعارها كانت أعلى من أسعار مصر، فمثلاً بلغ سعر وبيّة الدقيق أكثر من ستة عشر درهماً، ورغم ارتفاع سعرها إلا أنها نفذت من الأسواق، وحاول بعض التجار والباعة الاستفادة من ارتفاع الأسعار بجلب كميات أخرى للسوق وهذا ما ساعد في نهاية الأمر على خفض الأسعار حيث بيعت وبيّة الدقيق بثلاثة دراهم فقط، بل انتهى الأمر ببعض التجار لحمل بضاعتهم والعودة بها إلى الشام لأنهم لم يجدوا من يشتريها (العبدري، 2005م).

والجدير بالذكر أن الأسعار في منطقة تبوك كانت دائماً التذبذب بين الارتفاع والانخفاض قبل فترة الدراسة وخلالها، فقد ذكر الجزيري أنه في سنة 971هـ/1563م ساد الرخاء بالطرقات في الذهاب والإياب، وبيع السمن بدون النصف كل رطل، وكذلك العسل النحلي، وأُبيعت الرأس من الضأن في عقبة أيلة بثمانية أنصاف وبعشرة، وما قارب ذلك، والحشيش لعلوفاً الجمال بكثرة في سائر الطرقات، وامتارت السوق وبعض الحجاج من السمن والعسل، وتركوه في البنادر إلى الرجعة ثم حملوه إلى القاهرة للتجارة والكسب، وأورد إشارة أخرى عن السلع والأسعار سنة (970هـ/1562م) في منطقة تبوك بقوله "تزايد الغلاء وأُبيع الفول كل ربع بعشرة أنصاف، والجبن الحالوم كل رطل بثلاثة أنصاف، والبصل كل رطل بنصف. وكان وصول الركب إلى عقبة أيلة يوم الخميس رابع صفر الخير. فوجد الملاقة بكثرة غير أن الأسعار غالية، أُبيع البقسماط بنصف الرطل، والفول المجروش كل ربع بأربعة أنصاف، ونزل سعره إلى نصفين وعثماني، والجبن الحالوم بنصفين وعثماني كل رطل" (الجزيري، 2002م)، وذكر الورثياني في رحلته إلى الحج عند مروره ببندر الوجه بأن أسعار الفول والطعام كانت ترتفع فيه قبيل عودة الحجاج إلى مصر عبر الطريق، وعبر عن ذلك بقوله: "وهذا البندر أكد

ومنها الشقف، ويصنع من خشب الخيزران، ويستخدم للركوب على ظهر الجمل (صادق باشا، 1999م)، وكان النجارون في منطقة تبوك يصنعون الأبواب المزخرفة للمساجد، وكذلك المنابر والشبابيك. كما انتشرت أيضا في المنطقة صناعة الفخار التي كانت منتجاته تستخدم في المراكز العمرانية لدى الحضر (القحطاني، 2001م).

وفي فترة لاحقة، وخلال القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي انتشرت الصناعات المعدنية في المنطقة، واعتمدت على الذهب والفضة والنحاس والحديد، ومن هذه الصناعات تلك المتعلقة بالزينة، ومنها: الدبل، الخواتم، والخلخيل، والأساور الذهبية، والحلق، والرشش (الذي تنتزين به المرأة بوضعه على الصدر)، والقلائد لتزيين العنق (مغربي، 1984م) وصناعات تتعلق بأدوات القهوة، مثل: الدلة، والمحماس، وصناعة أدوات الزراعة، مثل: الحماش والمنجل والفؤوس، وأدوات الحرب والدفاع عن النفس، مثل: السيوف، والخناجر (الرويثي، د.ت)، وصناعات تتعلق بممارسة الصيد، ومنها صناعة شباك الصيد، وخاصة شباك الصيد الكبيرة التي تسمى محليا (الأشورة)، وتستخدم لصيد السمك (العبيدان، 1987م)، كما ازدهرت أيضا في المنطقة صناعة الفحم الخشبي نظرا لوجود مساحات واسعة من الأشجار الحرجية في المنطقة (تويتشل، 1949م)، وبعد الفحم من أهم صادرات المنطقة، حيث كان يتم تجميعه في الخريبة تمهيدا لتصديره إلى السويس (العبيدان، د.ت).

وعرفت البادية في منطقة تبوك عددا من الصناعات اليدوية، مثل: غزل الصوف، والخيوط اللازمة لصنع بيوت الشعر، وكذلك صناعة السجاجيد والبسط، وما تزين به سروج الخيل والإبل، وكذلك صناعة المقاطف والسلال لحفظ التمور، والمراوح اليدوية، والحصر وغيرها من سعف وخوص النخيل. يضاف إلى ذلك صناعة الجلود، وخاصة القرب لنقل الماء وحفظه (الريس، د.ت).

ومن الصناعات التي ارتبطت بالمرأة في المراكز الحضرية في منطقة تبوك: الحصر والمكائل (المقاطف) والمراوح والمكانس من سعف النخيل وسعف شجر الدوم (العبيدان، د.ت) وذلك إضافة إلى طحن الغلال والخياطة (الرويثي، د.ت). هذا، وقد استخدم أهل البادية الصباغة لإضافة ألوان زاهية على منسوجاتهم، وقد كانوا يستخرجون مواد الصباغة من الأعشاب الصحراوية ومن لحاء الأشجار. وكانوا يصبغون خيوط الصوف أو الوبر أو الشعر قبل نسجها، ومن الألوان التي استخرجوها بكثرة: الأحمر والأخضر والأصفر، إضافة إلى الألوان الطبيعية: الأبيض والأسود التي يتميز بها وير

البنادر إلى الخزن، لأن الركب في الإياب قد يسبق الملاقى من مصر إلى هذا المحل فيغلى فيه الفول والطعام غاية حتى تعجز عنه الأثمان في بعض الأوقات " ويشير ما أورده العياشي عن أسعار العنب في مغاير شعيب (الجاسر، 1984م)، إلى تذبذب الأسعار بين الإرتفاع والإنخفاض، وربما ارتبط ذلك بالعرض والطلب الذي كان له دور في ارتفاع الأسعار وانخفاضها. وقد قال العياشي في معرض حديثه عن المنتجات الزراعية الواردة من مدين: "وعادة أعراب مدين أن تسوق الأركاب هنالك بأحمال كثيرة من أنواع العنب وغيرها من الفواكه، وتتخفض أسعار ذلك كله (الورثياني، 1974م)، وذكر العياشي أنه أثناء عودة الحجاج عن طريق الوجه كانت ترتفع أسعار الفول والطعام (الجاسر، 1984م).

من طرق التعاملات التجارية التي عرفت المنطقة، المقايضة (دوتي، 2005م) والحالة، والصكوك، ومن أساليب التعامل التجاري التي عرفت الأسواق تقدير الأثمان لكثير من البضائع والسلع التجارية، أما وحدات الكيل والوزن المستخدمة فمنها الرطل المستخدم في إقليم الحجاز، ويساوي 12 أوقية، والصاع، وهو مكيل للطعام، ومقداره 2174 جراما، والوقية، وتساوي 721 جراما، وهي من أهم وحدات الوزن، والقباني، وهو أحد الموازين الكبيرة، أما وحدات القياس المستعملة فهي الذراع، وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الأوسط (العبيدان، غير منشور).

د. الصناعات

اكتفى سكان الداخل والساحل بصناعة ما يحتاجون إليه في حياتهم اليومية مما توفره لهم البيئة التي يتعايشون معها، وما يحتاجون إليه في حياتهم كصيادين وتجار يتعاملون مع البحر (القحطاني، 2001م). ولذلك ارتبطت صناعة أهل الساحل بالسفن والقوارب وشباك الصيد، وارتبطت صناعة أهل الداخل بما تنتجه مواشيه، وما يلزمهم في التنقل والترحال (العبيدان، د.ت).

وتعد صناعة السفن والقوارب وما يتعلق بها من أكثر الصناعات التي انتشرت عند أهل الساحل في منطقة تبوك، وتعتمد هذه الصناعة على: الخشب والقماش والليف والمسامير، وكان يتم استيرادها من مصر. (العلي، 1997م) ومن الصناعات الأخرى التي ترتبط بصناعة السفن والقوارب صناعة النجارة، فقد كان النجارون يصنعون من الخشب: الأبواب والنوافذ والسقوف والصناديق، وأشدة الجمال التي كانت تصنع من خشب الأثل، وتوضع على ظهر الجمل ليسهل ركوبه، وتحمله بالأطعمة والأمتعة (القحطاني، 2001م)، كما عرفت المنطقة أيضا بعضا من الصناعات المتعلقة بالجمال

الإبل وصوف الغنم (العلي، 1997م).

ومن الصناعات البسيطة التي كانت سائدة عند البدو في منطقة تبوك: غزل الصوف، وهي صناعة من اختصاص نسوة البدو حيث تتم حياكة بيوت الشعر والغطاء والكساء والفرش وكل ما يحتاجه البيت البدوي، وتستخدم في هذه الصناعات آلة بدائية بسيطة تسمى (النول)، ويتكون من بعض قطع الأخشاب مركبة تركيباً شبه فني مع قطعة من قرن الغزال، وكان البدو يستخدمون الصباغة لإضفاء ألوان زاهية مقبولة على النسيج، ويستخرجون مواد الصباغة من الأعشاب الصحراوية المتوفرة، ويقومون بخلط هذه المواد ببعضها حيث تتولد الألوان المرغوب استعمالها لصباغة خيوط الصوف أو الوبر قبل نسجها أو بعده، واهتم البدو بصناعة البارود والخنجر والسيوف وأعمال النجارة وصيانة السفن والمراكب الشراعية (العلي، 1997م).

ومن الإشارات التي تدل على وجود الصناعات وانتشارها كالنجارة تعيين الشيخ حمزة أحمد سيد سلمان شيخاً للنجارين سنة 1339هـ/1920م، وقد اشتهر والده أحمد سيد سلمان من أهالي أملج بأنه من أشهر صانعي السفن في أملج في أواخر العهد العثماني. (نوفيع، 2010م).

خاتمة

أسهمت كتب الرحلات الإسلامية والأوربية في الكشف عن ملامح الأحوال الاقتصادية للمنطقة نظراً للملاحظات والمعلومات التي ذكرها الرحالة في كتاباتهم عن المنطقة، حيث أوردوا العديد من الإشارات عن آبار المياه وأنواع المحاصيل الزراعية التي كانت تنتشر زراعتها في المنطقة، كما أوردوا إشارات متنوعة عن التجارة والطرق التجارية والسلع التجارية.

اكتسبت المنطقة أهمية خاصة لدى السلطات العثمانية التي خضعت المنطقة لنفوذها فترة طويلة والسبب الرئيس في ذلك أن المنطقة مثلت ممراً لقوافل الحج القادمة من الشام ومصر وهذا جعل الدولة العثمانية تحرص على بذل الوسائل المناسبة لحماية الحاج من خلال بناء القلاع والمحطات والآبار على طول طرق الحج هذا بالإضافة إلى محاولة كسب ود القبائل التي تقيم على طول طرق الحج لتأمين مرور قوافل الحج عبر المنطقة دون تعرضها لمخاطر الاعتداء والنهب.

وبرز النشاط الاقتصادي لمجتمع المنطقة في عناصر رئيسية تمثلت بالرعي والزراعة والتجارة، ومثل النشاط الرعوي أحد أهم عناصر النشاط الاقتصادي لمجتمع المنطقة نظراً لطبيعة المجتمع الذي اعتمد بشكل رئيس على الثروة الحيوانية في معيشته، كما مثل ما يمتلك الفرد من الإبل والاعنام مقياس ثروة له، وساعد على ذلك انتشار المراعي التي ازدهرت فيها

بعضاً من أنواع النباتات في أجزاء عديدة من المنطقة.

وفي المجال الزراعي لم يهتم سكان المنطقة بالزراعة كاهتمامهم بالرعي، ويعود السبب في ذلك إلى التربة قليلة الخصوبة، وعدم اهتمام السكان بالزراعة، وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت في أجزاء من المنطقة زراعات متنوعة على رأسها شجرة النخيل بأنواعها، وأسهم مد خط سكة حديد الحجاز المار من تبوك في توجه بعض السكان نحو زراعة هذه الشجرة نظراً لإمكانية الاستفادة من الخط في تسويق التمور في الداخل والخارج وكذلك الحبوب والخضروات والفواكه وأشجار الكرم.

وتنوعت مصادر المياه التي ساعدت على انتشار بعض المساحات الزراعية في المنطقة لتشمل مياه الأمطار ومياه الأودية والسيول والآبار والعيون والسدود والخزانات، وعرفت المنطقة انظمة للري والسقي لمزارع الذرة وبساتين النخيل ونظام تقسيم للمياه بين المزارعين وفق الأراضي الزراعية، واستخدمت الآلات في استخراج المياه من الآبار وتوزيعها بين المزارعين.

أما النشاط التجاري فقد استفاد من موقع المنطقة الذي أكسبها أهمية على صعيد التجارة الداخلية والخارجية، ومثل مرور الحاج في طرق ومحطات المنطقة أهمية بارزة لدى بعض السكان في المنطقة ممن يعملون بالتجارة والزراعة لعرض منتوجاتهم في محطات استراحة الحاج لبيعها وشراء ما يحتاجون إليه.

وشهدت المنطقة بناء علاقات تجارية مع كل من الشام ومصر عبر العديد من الطرق البرية والبحرية، وهذا ساعد على دخول السلع التجارية إلى المنطقة، وتصدير بعض السلع إلى خارجها سواء كان ذلك إلى المناطق المجاورة أو إلى بلدان مثل الشام ومصر، وهذا كله أسهم في وجود تبادل تجاري بين منطقة تبوك والبلدان المجاورة مما فتح مجالاً للتواصل بين هذا المجتمع والمجتمعات المجاورة.

وانتشرت العديد من الصناعات البسيطة في المنطقة والتي ارتبطت في أغلبها بالاحتياجات اليومية لسكان المنطقة حاضرة وبادية، واستفاد سكان المنطقة من المواد المتوفرة في صناعة ما يسد احتياجاتهم الضرورية، ومن أبرز الصناعات البسيطة التي عرفت المنطقة النجارة التي احتاج إليها سكان الساحل نظراً لدخولها في صناعة قوارب الصيد، كما أن الصناعات الخشبية كانت لها أهميتها الكبيرة عند سكان البادية نظراً لدخولها في صناعة الأشدة التي يتم وضعها على ظهور الجمال لتحميل الأمتعة، كما انتشرت أيضاً صناعة الفخار، وصناعة غزل الصوف لصناعة بيوت الشعر والسجاجيد والبسط، وانتشرت أيضاً صناعة الصباغة التي اعتمد فيها السكان على النباتات الموجودة في المنطقة التي كان يتم قطفها

كشفت الدراسة عن ملامح ومقومات الأنشطة الاقتصادية التي عاشها مجتمع منطقة تبوك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر التاسع عشر الميلاديين، وأسهمت في توثيق مرحلة من تاريخ المنطقة الاقتصادي لم يدرس من قبل.

(9) تتبع منطقة تبوك وتبعد عن حقل القريبة من مدينة العقبة حوالي 272 كم عن طريق البدع ودُكرت كمحطة في درب الحج (بكر: 1981).

(10) عبد الكريم بن رمان أمير تيماء، تم اغتياله على يد احد أقاربه عام 1369هـ/أكتوبر 1950م (البلوي: 2010م).

(11) بئر يقع في مدينة تيماء ويعد من أقدم الآبار وأشهرها في المملكة العربية السعودية، ويصل عمقها الى 12 م، وجوانبها مطوية بالحجارة، ويبلغ محيط فوهتها نحو 65م (التيمائي: 1991م).

(12) يقع وادي الزريب في شمال غرب المملكة العربية السعودية الى الشرق من مدينة الوجهين خطي الطول 36-36.30 ودائرتي العرض 26-26.30، وهو واد صغير تتجمع فيه مياه الشعاب المنحدرة من سفوح جبال السروات الواقعة أمام مدينة الوجه كما تصب فيه بعض مياه الأودية المجاورة له (غبّان: 1993م).

(13) بئر الشادوف وبئر التدلاوي من الابار السلطانية وتقعان في مزارع آل التدلاوي القريبة من قلعة الوجه (غبّان: 1993م).

(14) محطة على درب الحج المصري، كانت ميناء بحريا خرب وبقي اسمها معروفا حتى أوائل القرن الحالي، وتقع الى الشمال من بلدة أم لج وبينهما حوالي (8كم) (بكر، 1981).

(15) اسم يطلق على واد من اودية تهامة، ينزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام، ولهذا كثر ذكره في رحلات الحج، كما كان يطلق على ميناء تقع في مصب ذلك الوادي في البحر (الجاسر، د.ت) محطة على درب الحج المصري وتقع قرب وادي زريب، على ساحل شرم الوجه، والمسافة بين ضباء والوجه 155 كم وبها قلعة الزريب والعديد من البرك والآبار (بكر، 1981).

ومزجها لاستخراج الوان متنوعة منها واستخدامها في صبغ الأقمشة والألبسة، وعرفت المنطقة أيضا صناعة بعض الأدوات الزراعية وأسلحة الدفاع عن النفس، وانتشرت في وقت متأخر بعض الصناعات المعدنية البسيطة المتعلقة ببعض أدوات زينة المرأة، وأدوات القهوة .

الهوامش

- (1) تبعد عن المدورة 23 كم فيها الدوائر الحكومية التابعة لمفتشية الحدود الغربية بالمملكة العربية السعودية وتبعد عن تبوك 97 كم (بكر، 1981).
- (2) ورد ذكرها كمحطة على درب الحاج الشامي وتقع الى الجنوب من حالة عمار وتبعد عن تبوك 84 كم (بكر، 1981).
- (3) تبعد الى الشمال عن مدينة تبوك بـ 60 كم (بكر، 1981).
- (4) من أشهر لأودية التهامة، الواقعة في شمال الجزيرة العربية، فيما بين جبال حسمى وساحل البحر، ووصفه حمد الجاسر بأنه من اعظم الأودية في شمال الحجاز (الجاسر: د.ت).
- (5) جبل غُنيم جبل ذو رؤوس، أسود، مطل على تيماء من الناحية الجنوبية الشرقية، وأغلب سيول تيماء تنحدر من سفوحه وما حوله من الآكام والجبال، ولشهرته في تيماء ينتسب بعض أهل هذه البلدة اليه . (الجاسر، د.ت).
- (6) يطلق على الأرض الممتدة من طرف خليج العقبة شمالا الى قرب ميناء الوجه جنوبا، ومن اشهر المواضع الاثرية فيها: مغاير شعيب، ومقنا والخريبة وعينونا (الجاسر: د.ت) ق3 ص1207-1210 ومدين اسم مملكة قديمة لا تزال آثارها باقية في شمال الحجاز، وتعرف عاصمة هذه المملكة الآن بالبدع، ومدين كذلك اسم لموضع البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، كما انها اسم لقوم شعيب عليه السلام (بكر: 1981).
- (7) مكان أثري يدل على أنه كان مقاما فيه قلعة ومكان عبادة قديما، ويقع شمال بلدة تبوك بقرب البئر بئر ابن هرماس (الجاسر: د.ت).
- (8) ميناء على ساحل خليج العقبة، وتسمى عند أهل الدرك النيك (الجاسر : د.ت) وتتبع محافظة ضباء التي تتبع منطقة تبوك (بكر: 1981).

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- الإدريسي، م. (د.ت) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص352.
- البتوني، م. (د.ت) الرحلة الحجازية، مصر: مكتبة الثقافة الدينية. ص223، 263.

ابن إياس، م بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها محمد مصطفى (1403هـ/1984م)، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ج5، ص 71، 150

ابن بهرام الدمشقي جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، ترجمة مسعد سويلم (2007م)، ط1، الرياض. ص257-258، 269-270.

البيطار، م. (1387هـ/ 1967م) الرحلة النجدية الحجازية، دمشق:

301، 304، 305، 307، 340-343، 430-431.

ثانياً: المراجع العربية

الأنصاري، ع . (1989) الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية، بحث منشور ضمن الكتاب الثالث لأبحاث الجزيرة، وعنوانه: (الجزيرة العربية في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين)، ط1 الرياض: جامعة الملك سعود. ج1، ص7.

البتوني، م. (د.ت) الرحلة الحجازية، مصر: مكتبة الثقافة الدينية. ص223، 263.

بكر، س. (1401هـ/1981م) الملاح الجغرافية لدروب الحجيج، ط1، تهامة. ص 125، 126، 134، 137، 130، 129-135، 170، 196.

البكري، ع. (1403هـ/1983م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب. ص12، 329-330.

البلوي، م. (1427هـ/2007م) العثمانيون في شمال الجزيرة العربية 1326-1341هـ/1908-1923م، ط1، الدار العربية للموسوعات. ص15، 38، 69، 71-73، 123-124.

البلوي، م. (1431هـ/2010م) منطقة تبوك في عهد الملك عبدالعزيز 1344-1373هـ/1926-1953م، جامعة أم القرى. ص35-38، 338-340.

البيطار، م. (1387هـ/1967م) الرحلة النجدية الحجازية، دمشق: المطبعة الجديدة. ص15.

التيماثي، م. (1411هـ/1991م) سلسلة هذي بلاننا: تيماء، ط1، الرياض: اصدار الرئاسة العامة لرعاية الشباب. ص54.

الجاسر، ح. (1970م) في شمال غرب الجزيرة، ط1، الرياض: دار اليمامة. ص429، 534.

الجاسر، ح. (1977م) المعجم الجغرافي للبلاد السعودية شمال غرب السعودية، ط1، الرياض: دار اليمامة. ص5.

الجاسر، ح. (د.ت) المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية شمال المملكة، إمارات: حایل والجوف وتبوك وععرع والقرينات، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض القسم الثالث، ص 920-921، 1011، 1093، 1207-1210، 1292-1349، 1295-1359.

الخضير، س. (1411هـ/1991م) منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الاقليمية، الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. ص أأ.

الدقن، س. (1405هـ/1985م) سكة حديد الحجاز الحميدية، القاهرة: مطبعة الجبلاوي. ص196.

الدوري، ع. (1410هـ/1989م) الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين (نظرة شاملة)، بحث منشور ضمن الكتاب الثالث لأبحاث الجزيرة، وعنوانه: (الجزيرة العربية في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، ط1، الرياض: جامعة الملك سعود. ج1، ص 189.

المطبعة الجديدة. ص15.

الجاسر، ح. (1402هـ/1982م) ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، ط1، الرياض: منشورات دار الرفاعي. ص25، 28، 71، 283.

الجاسر، ح. (1404هـ/1984م) مقتطفات من رحلة العياشي عبدالله بن محمد ت1090هـ (ماء الموائد)، ط1، الرياض: منشورات دار الرفاعي. ص25-27، 30-31.

الجزيري، ع. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، م2، ص 120، 126، 148، 707، 723. جلبي، أ. الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافي أحمد المرسي (1420هـ/1999م)، القاهرة: دار الآفاق العربية. ص100.

الحموي، ي. (1397هـ/1977م) معجم البلدان، بيروت: دار صادر. ج2، ص15، 67.

ابن حوقل، م (1874م) المسالك والممالك، لندن. ص19. الدرعي، م. (طبع على الحجر بفاس المغرب) الرحلة الناصرية. ص 164-165، 168، 171.

الدمشقي، م. المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق ودراسة حكمت اسماعيل (1993م)، دمشق: منشورات دار الثقافة. ق2، ص53.

الزياني، ق. الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفلالي (1967م)، المغرب: وزارة الأنباء المغربية. ص222.

صادق باشا، م. (1999م) الرحلات الحجازية، بيروت: بدر للنشر والتوزيع. ص 84-85، 87-88، 91، 274، 276.

العبدري، م. رحلة العبدري، تحقيق علي الكردي (1426هـ/2005م) ط2، دمشق: دار سعد الدين. ص 339-340، 343.

العياشي، ع. الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي (2006م) ط1 أبو ظبي: دار السويدي. ج1، ص281، 283-296.

كبريت، م. رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي (1385هـ)، ط2 بيروت: المكتب الاسلامي للطباعة، ص 17-18.

المسعودي، ع. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين (1973م) ط5 بيروت: دار الفكر، ج2، ص107.

المكناسي، م. رحلة المكناسي إحرار المعلي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تحقيق، محمد بوكبوت (2003م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص255.

النابلسي، ع. (1986م) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص164، 307.

الورثياني، س. (1974م) نزهة الأنتظار في فضل علم التاريخ والاخبار ط2 بيروت: دار الكتاب العربي، ج1، ص299،

- والنشر، ص88.
- الناظوري، ر. (1404هـ/1984م) حول أرض مدين (تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر)، الرياض، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ص71-74.
- نويفع، م. (1431هـ/2010) أملج جغرافيتها تاريخها آثارها تراثها الشعبي ط1 الأولى، إصدارات النادي الأدبي لمنطقة تبوك، ص30، 96.
- الوليقي، ع. (1417هـ/1997م) جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية ط2 الرياض: مؤسسة المنار للطباعة والتجليد، ص35، 60.
- وهيم، ط. (1427هـ/2007م) تاريخ الحجاز السياسي 1916-1925م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ص317.
- ثالثاً: المراجع (الاجنبية) المترجمة**
- أوليري، د. جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمه وعلق عليه موسى علي الغول (1990)، عمان: منشورات وزارة الثقافة . ص121.
- أويتج، ي. رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة سعيد فايز السعيد (1419هـ)، الرياض: دار الملك عبد العزيز. ص153-154، 156-157، 166-197، 237-238.
- تاميزيه، م. رحلة في بلاد العرب الحجاز، ترجمه وعلق عليه محمد بن عبد الله آل زلفة (1421هـ/2001م)، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع. ص248-249.
- توينشل، ك. الزراعة والماشية في المملكة العربية السعودية، ترجمة أحمد علي (1369هـ/1949م)، مجلة المنهل. ص114.
- جلبي، أ. الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافي أحمد المرسي (1420هـ/1999م)، القاهرة: دار الآفاق العربية. ص71، 75، 100.
- جوسين، أ. وسافينك، ر. (1424هـ) رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان بن عبد الرحمن الذبيب وسعيد بن فايز السعيد، الرياض: دار الملك عبدالعزيز. ج1، ص499-500.
- دوتي، ت. ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم جمال زكريا (2005م)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ج1، ص476، 499-503، 511-512.
- فالين، ج. رحلات فالين الى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شلبي ومراجعة ابراهيم يزك (1429هـ/2008م) بيروت: دار الوراق للنشر. ص234-235.
- فليبي، ج. أرض مدين، تعريب يوسف مختار الأمين، مراجعة وتدقيق عبد الله بن محمد المنيف (1424هـ/2003م)، الرياض: مكتبة العبيكان، ص135، 155-156، 166-168، 172-173، 217، 234-235، 249، 250، 252، 254، 323-324، 379، 382، 432-433، 443، 462-463، 488، 502.
- الرويثي، م. (د. ت) الوجه، الرياض: مطابع الملك سعود. ص76، 81.
- الريس، ع. (د. ت) البدع، ط1، الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب. ص82.
- سلامة، ع. (1422هـ) أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات 1350-1100 ق.م، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية. ص87.
- الشعبي، ص. (شوال 1419هـ / 1999م) السياسة المالية في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، شوال 1419هـ / 1999م، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ج2، ص619.
- الطيبار، م. (1420هـ) تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود 1351-1373هـ / 1932-1953م، دراسة تاريخية، الرياض: وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات. ص37، 147.
- العبيدان، م. (غير منشور) التجارة وطرقها في منطقة تبوك عبر العصور، جامعة تبوك: الموسوعة العلمية لمنطقة تبوك. م8.
- العبيدان، م. (د.ت) الحركة التجارية في ضباء بين عامي 1282-1382هـ، (د.ن) ص44، 67، 72، 81، 84-86، 97، 100 ص102-104، 112.
- العبيدان، م. (1407هـ/1987م) مدينة ضباء بين الماضي والحاضر ط1، (د.ن). ص66.
- العثيمين، ع. (1419هـ/1998م) تاريخ المملكة العربية السعودية ط4 الرياض: مكتبة العبيكان. ج2، ص342.
- العلي، ح. (1418هـ/1997م) دراسات وحقائق في شمال غرب المملكة العربية السعودية ط1. ص100-104، 134.
- ابو عليه، ع. (1396هـ / 1976م) الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص34، 77، 80، 82.
- العلي، ح. (1418هـ/1997م) دراسات وحقائق في شمال غرب المملكة العربية السعودية ط1. ص100-117، 134.
- العيسى، (1419هـ/1998م) موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية الرياض: وزارة المعارف. ج1، ص53.
- غبان، ع (1414هـ/1993م) شمال غرب المملكة العربية السعودية، الكتاب الأول بحوث في التاريخ والآثار، الرياض: ط1. ص15، 46، 148-159، 166، 276.
- الغريض، م. (د. ت) حصاد السنين، تبوك: مؤسسة محمد بن عبد الله الغريض. ص14، 42.
- القحطاني، ح. (1422هـ/2001م) الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز 1297-1323هـ/1880-1905م، (د.ن)، الكويت، ص159-162، 166.
- محمود، أ. (2009م) جمهرة الرحلات، ج3، السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ص256-257، 273، 311-312.
- مغربي، م. (1405هـ/1984م) ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ط2 جدة: دار العلم للطباعة

الامام محمد بن سعود الاسلامية. ص أ.
الطيبار، م. (1420 هـ) تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية
السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
1351-1373 هـ / 1932-1953 م، دراسة تاريخية، الرياض:
وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات. رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الاداب بالدمام ص37، 147.

خامسا: الابحاث في المجالات

الدريس، (رجب 1400 هـ/يونيو 1980م) دراسة إقليمية لمنطقة
تبوك، مجلة الدارة، ص5، ع4، ص249-250.
الزعاير، م. (2014م) الآبار والمياه في منطقة تبوك خلال الفترة
922-1340 هـ/1516-1922م، مجلة كلية التربية، جامعة
كفر الشيخ، العدد 1، السنة 14، ص243-312.
عجيمي، ه. (1409 هـ) قلعة تبوك، مجلة أم القرى، ص1، ع2،
ص140-147.
ابو عليه، ع. (ربيع أول 1395 هـ/مارس 1975م) الجذور الأولى
لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب. مجلة الدارة، ص1،
ع1، ص117.

فلبي، ج (1965) أرض الأنبياء، ترجمة عمر الديراوي (1965)،
ط2 بيروت: منشورات المكتبة الأهلية فلبي، ج (1965) أرض
الأنبياء، ترجمة عمر الديراوي، ط2 بيروت: منشورات المكتبة
الأهلية، ص135، 138، 150-152، 155-156، 166-
168، 172-174، 195-196، 204، 216-217،
223-224، 233-235، 239-241، 248-254، 287،
305، 323-324، 327-329، 347، 365-368، 370-
396، 397، 405، 423، 436، 443، 458-464، 494،
502، 528-530، 535.

رابعا: الرسائل العلمية

البلوي، م. (1427 هـ/2007م) العثمانيون في شمال الجزيرة العربية
1326-1341 هـ/1908-1923م، ط1، الدار العربية
للموسوعات. رسالة ماجستير منشورة، ص15، 38، 69، 71-
73، 123-124.
البلوي، م. (1431 هـ/2010م) منطقة تبوك في عهد الملك عبد
العزيز 1344-1373 هـ/1926-1953م، رسالة دكتوراه غير
منشورة جامعة أم القرى. ص35-38، 338-340.
الخصيري، س. (1411 هـ/1991م) منطقة تبوك دراسة في
الجغرافيا الإقليمية، الرياض: رسالة ماجستير غير منشورة جامعة

The Economic Life in Tabuk Region During the 12th and 13th AH centuries/ 18th and 19th AD

Mohammed A. Al-Zaareer*

ABSTRACT

This study investigates the history of economic life in Tabuk region during the 12th and 13th AH, (18th and 19th AD centuries). The region falls geographically at the northwestern part of Saudi Arabia, and includes Tabuk, Tema, Duba'a, Haql, Alwajh, Amluj, and surrounding suburbs. The importance of the region's location comes from being on the Shami and Egyptian pilgrimage ways. This gave the opportunity for Muslim and European globetrotters to gather information, which contributed to trace the economic activity of the region and that included: livestock, agriculture, trade, industry and related changes during the 12th and 13th AH, 18th and 19th AD centuries.

Keywords: Tabuk, economic life, history.

*Department of Humanities, Faculty of Arts and Sciences, Oatar University, Qatar. Received on 22/1/2015 and Accepted for Publication on 17/5/2015.